

العمارة الإسلامية

٢٥٧ أثر

أ.د. عبد الله الحداد

الوحدة الأولى: المصطلحات المعمارية:

قبل تناول الآثار الإسلامية وعمارته وفنونها ينبغي أولاً تناول مصطلحات ومسميات العمارة الإسلامية ومنشآتها وعناصرها المعمارية والإنشائية التخطيطية، بهدف تكوين فكرة واضحة في ذهن الطالب عن هذه المصطلحات ليسهل عليه فهمها عندما يتم تناولها في مفردات مواد الآثار الإسلامية عموماً، ومن أهم تلك المصطلحات والمسميات والعناصر:

المبحث الأول: المنشآت المعمارية:

أولاً: المنشآت الدينية:

تتنوع المنشآت الدينية بين: منشآت الصلاة، والمنشآت الجنائزية، والمنشآت التعليمية، وكل نوع من هذه الأنواع لا ينفصل عن الآخر، بل هناك اتصال وثيق من حيث الشكل ومن حيث الوظيفة، فمثلاً المسجد وهو من منشآت الصلاة إلا أنه يقوم بالوظيفة التعليمية مثله مثل المدرسة، والعكس أيضاً، لذلك فإن تصنيف هذه المباني إلى الأنواع المذكورة إنما جاء وفقاً للوظيفة الأساسية للمبنى أو الوظيفة الأشهر له.

أ- منشآت الصلاة:

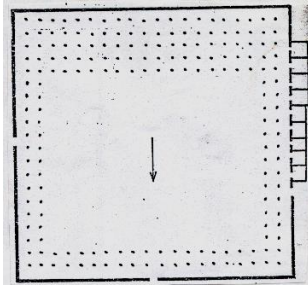
تأتي عمارة المنشآت الخاصة بالصلاة في مقدمة أنواع العمارات الإسلامية عامة لعدة عوامل منها:

- أنها تخدم الغرض من إنشائها في إقامة الشعائر الدينية.

- أن بنائها يعد قرينة إلى الله لينال صاحبها الأجر والثواب.

ولذلك تحتل منشآت الصلاة المقام الأسمى بين العمارات الدينية خاصة والعمائر الإسلامية عامة، سواء من حيث العدد أو من حيث درجة الحفظ وجمال الزخرفة ومهارة الصنعة، وتنقسم هذه المنشآت إلى ثلاثة أنواع هي: المسجد الجامع، مساجد الفروض، مصلى العيد.

١- المسجد الجامع:



المساجد هي بيوت الله في الأرض، فيها تتم عبادة الله وذكره والتضرع إليه، ومنها يتم الاتصال بالخالق جل وعلا دون واسطة، المساجد هي رمز الإسلام، وعلامة الإيمان، يقول ﷺ (إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ) (إِنَّمَا يَعْمرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ)^(١)، ولأهمية المسجد في

الإسلام وفي حياة المسلم ذكره الله تعالى في القرآن في آيات تتحدث عن عمارته وأحكامه، ويرد تارة باسم المسجد وتارة باسم البيت، ومنها: قوله تعالى: (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين)^(٢)، وقوله (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال)^(٣) وذكره الرسول ﷺ في أحاديثه ومنها قوله ﷺ (مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَفَحَصَ قَطَاةً لَبَيَّضَها بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ)^(٤).

تعريف المسجد الجامع:

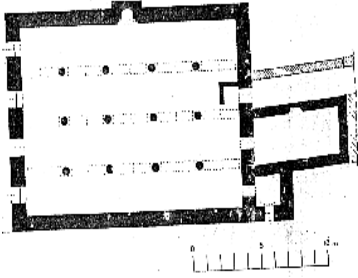
سمى المسجد بهذا الاسم لأنه المحل الذي يسجد الإنسان فيه إلى الله عز وجل دون سواه، ومصدره "سجد" بمعنى انحنى وخضع ووضع جبهته بالأرض خاضعاً متعبداً، والمسجد لغة: على وزن مَفْعِل بالكسر اسم لمكان

١- رواه الترمذي.
٢- سورة التوبة، آية ١٧، ١٨.
٣- سورة النور، آية ٣٦.
٤- رواه الإمام أحمد.

السجود، والمسجد بالفتح جبهة الرجل لأنها تصيب الأرض حال السجود.

والمسجد شرعاً: كل موضع من الأرض لقوله ﷺ (جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ^(١)) ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه فقد اشتق اسم المكان منه فقيل مسجد ولم يقل مركع، أما الجامع بمعنى المسجد: فهو المكان المخصص للعبادة، والجامع في اللغة: من المصدر "جمع"، والجمع تأليف المتفرق وضم الشيء إلى الشيء ومنها اشتق اسم يوم الجمعة لأنه يوم يجمع الناس كثيراً، والجامع يطلق على المسجد الذي تصلى فيه الجمعة لأنه يجمع الناس في يوم ووقت معلومين، وشرعاً: المكان الذي يجمع الناس ويجتمعون فيه للعبادة، وأداء صلاة الجمعة.

وقد خضع المسجد بشكل كلي لمبادئ العقيدة الإسلامية فكانت البوائك والعقود تبنى موازية أو عمودية على جدار القبلة حتى تتيح أكبر مساحة للناس لأداء الصلاة وحتى لا تقطع صفوف المصلين سواء أكان تخطيطها على شكل بوائك رأسية (بلاطات) أو موازية لجدار القبلة (أساكيب).



٢- مساجد الفروض:

يقصد بها المساجد التي يتم فيها أداء الصلوات الخمس المفروضة دون صلاة الجمعة التي تصلى فقط في المسجد الجامع، وهذه المساجد موجودة منذ أيام الرسول ﷺ، فقد كان لكل حي من أحياء المدينة مسجداً خاصاً للصلاة.

٣- مصلى العيد:

المصلى: مشتق من الصلاة، فهو المكان الذي يجتمع فيه الناس في الأعياد لأداء صلاة العيد، وهو ما يعرف حالياً بمصلى العيد، كما يطلق على الأماكن المخصصة للصلاة في المنشآت الأخرى كالمدارس والأربطة ومصليات النساء في المساجد والمنازل، ومنها مقام إبراهيم قال تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى^(٢))، فمقام إبراهيم مصلى جزئي من مسجد كلي هو المسجد الحرام.

ب- المنشآت الجنائزية:

يقصد بها المنشآت التي خصصت لدفن موتى المسلمين، كالقبر، والضريح، والقبعة، والمشهد، والترية، والمقام.

فالضريح في اللغة مشتق من الفعل "ضرح" ويقصد به الشق أو اللحد وسط القبر، وقيل هو القبر بلا لحد، وقيل الضريح القبر كله لأنه يشق في الأرض شقاً، وقد أطلقت تسمية الضريح تجوزاً على البناء المقام على القبر من باب إطلاق تسمية الجزء على الكل، لأن الأصل في الشيء هو الدفن، كما أطلقت كلمة الضريح على التوابيت الخشبية والتراكيب التي تعلوا القبور.

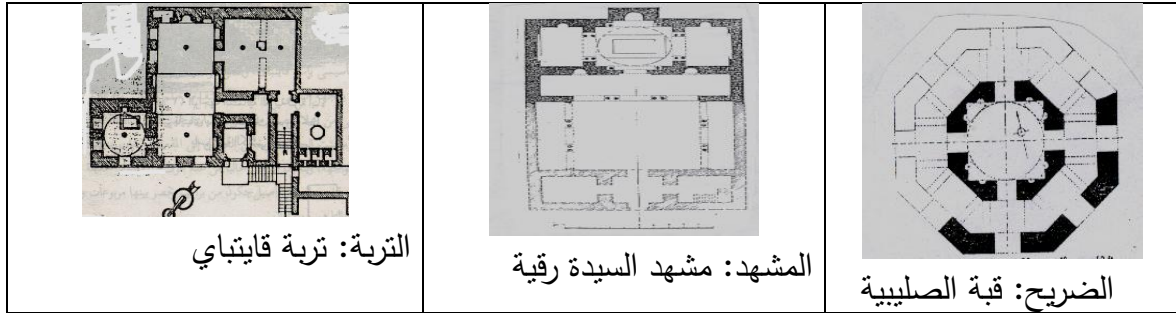
وكانت الأضرحة تبنى على شكل مربع أو مستطيل أو مئذنة تعلوه قبة أو عدة قباب كما في مصر واليمن، أو على شكل برج مخروطي كما في العراق، وقد تبنى الأضرحة مستقلة أو ملحقة بمبان أخرى.

أما **المشهد** بالفتح من الفعل شهد، والمشهد محضر الناس ومجتمعهم، وكل مكان يشهده الناس ويحتشدون فيه فهو مشهد، والمشهد هو المرادف لكلمة ضريح.

١- رواه البخاري في حديث طويل.
٢- سورة البقرة، آية ١٢٥.

والتربة وجمعها ترب في اللغة من الفعل "ترب"، وأترب الشيء وضع عليه التراب، وتربة الإنسان رسمه أي بقاياه، ويستخدم مصطلح التربة في الآثار للدلالة على مبنى القبر كله بما في ذلك الجزء المدفون في باطن الأرض (الشق والحد).

في حين أن المقام من الأسماء التي أطلقت على أبنية القبور، وهومن الفعل قام، ومنها مقام الإمام الشافعي أوضريحه أومشهده - حسب اختلاف المسميات - بالقاهرة.



ج- المنشآت التعليمية:

هناك نوعين من المنشآت التي قامت بوظيفة التعليم وهما المدرسة والكتاب، كما قامت المنشآت الدينية والاجتماعية كالمسجد والخانقة والرباط والزاوية بوظيفة التعليم لكنها كانت وظيفة استثنائية ولم تكن الوظيفة الأساسية:

١ - المدرسة:

المدرسة وجعها مدارس: هي مكان الدرس والتعليم، والمدرّس والمدرّس الموضع الذي يُدرّس فيه.

والمقصود بالمدارس الأماكن التي بنيت لغرض نشر نوع من المعرفة بإشراف جهة معينة تقوم بإنفاق المال عليها من ريع الأوقاف الموقوفة عليها، وتقوم باختيار وتعيين المدرسين والطلاب المرتبين فيها.

٢ - المعلمة (الكتاب):

الكتاب: من الفعل كتب، وهو المكان الذي يتم فيه تعليم الصغار من أطفال المسلمين وخاصة الأيتام وتحفيظهم للقرآن الكريم، ويعرف في الجزيرة العربية باسم المعلمة من الفعل علم، وتوجد الكتابات أو المعلمات غالباً كملاحقات للمساجد والمدارس والأسبلة.

ثانياً: منشآت الرعاية الاجتماعية:

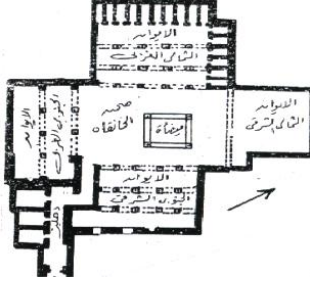
تعرف الرعاية الاجتماعية عند علماء الخدمة الاجتماعية بأنها " نسق منظم للخدمات الاجتماعية والمؤسسات ينشأ لمساعدة الأفراد والجماعات لتحقيق مستويات ملائمة للمعيشة والصحة، وهي تستهدف العلاقات الشخصية والاجتماعية التي تسمح للأفراد بتنمية أقصى قدراتهم وتحقيق تقدمهم وتحسين حياتهم بحيث تتسجم وتتوافق مع حاجات المجتمع"، أو هي كل الأنشطة الخدمية الحكومية أو الأهلية التي تستهدف رفاهية الناس عامة وتوفير الرعاية لغير القادرين خاصة.

والمقصود بالمنشآت الاجتماعية في الآثار: المباني التي تؤدي خدمات عامة للناس سواء أكانت خدمة الإيواء والإنفاق كالخانقة والرباط والزاوية والتكية، أو العلاج كالبيمارستان والحمام.

أ- منشآت الصوفية:

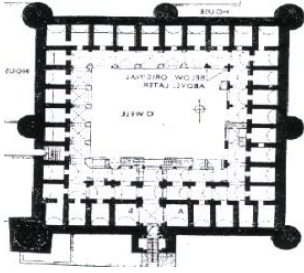
١ - الخانقاة:

الخانقاة أو الخانكاه وجمعها خوانق كلمة فارسية من مقطعين تعني بيت أو مكان للعبادة، وهي نوع من المباني ذات الوظيفة المزدوجة، فهي مكان للعبادة ومكان لانقطاع الصوفية فيها للعبادة والذكر حيث وفرت المأوى والإعاشة لعدد كبير من الفقراء المعدمين سواء المقيمين فيه أو المترددين عليه، وكان لكل خانقاة شيخ من الصوفية، وعدد من الموظفين والطباخين.



تخطيط الخانقاة في الغالب مكون من صحن مكشوف محاط بأربعة إيوانات، وحول الإيوانات حجرات لسكن المتصوفة فضلاً عن عدد من الملحقات الثانوية الأخرى التي تتناسب مع حجم الخانقاة ومساحته وأعداد المتصوفة فيه وكذلك قدرة المنشئ، ومن هذه الملحقات قبة ضريحية ومطبخ وحمام وحوض للدواب وسبيل ومدفن للصوفية ومكتبة وميضأة، وقد تكون الخانقاة مكونة من طابق واحد وقد تتعدد الطوابق.

٢ - الرباط:

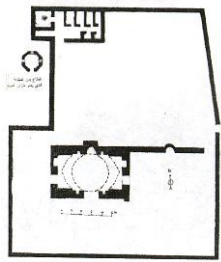


ربط الشيء يربطه أي يشده، والرباط وجمعها ربط وأربطة ومرابطة معناها ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد خيله ثم صار معناها ملازمة الثغر، ومنها أصبح الرباط معناها المواظبة على الأمر، والرباط في الآثار نوع من العمائر الاجتماعية والدينية كانت نشأتها على مرحلتين:

المرحلة الأولى: عسكرية كأماكن لإقامة المجاهدين في سبيل الله وخاصة في مناطق الثغور وأطراف الدولة الإسلامية المتاخمة للعدو.

المرحلة الثانية: منشأة دينية واجتماعية مخصصة لإقامة الصوفية، أولفقراء الناس من الرجال والنساء، وقد حدث ذلك بعد توقف الفتوحات الإسلامية أوتجاوز حدود الدولة لموقع الرباط، فتحوّلت الأربطة العسكرية إلى أربطة دينية.

تخطيط الرباط عامة مكون مساحة مستطيلة جدرانه الخارجية مزودة بأبراج المراقبة والدفاع، ويتوسط الرباط صحن محاط بحجرات صغيرة على طابقين أو أكثر لسكن المجاهدين ثم لسكن الصوفية بعد ذلك، كما يحتوي الرباط على مسجد للصلاة وفناء وعدد من الأواوين الصغيرة وحجرات السكن وحوض للمياه أو أكثر، ولم تقتصر الأربطة على الرجال فقط، فقد وجدت أربطة خاصة بالنساء وخاصة الأرامل والمطلقات اللاتي لا مأوى لهن حيث وفرت لهن المأكل والملبس والمأوى والرعاية مع مواظبتهم على العبادة.

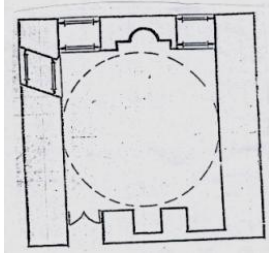


٣ - التكية:

التكية نوع من العمائر الدينية والاجتماعية ظهر في العصر العثماني، وكانت مخصصة لإقامة دراويش الصوفية، ثم تطورت إلى أن خصصت للكسالى من الناس

والذين عرفوا باسم "تنابلة السلطان" وهم الذين وفدوا إلى البلاد وأقاموا فيها بدون عمل حيث تم تسكينهم في التكايا، التي يتكون تخطيطها من مصلى وفناء متسع مكشوف تحيط به من الجهات الأربع مجموعة من الحجرات مخصصة للسكن.

٤ - الزاوية:



الزاوية وجمعها زوايا: من الفعل "زوى" زوى الشيء يزويه أي جمعه وقبضه، ويقال زاوية البيت أي ركن البناء لأنها جمعت بين قطرين منه وضمت ناصيتين، وزاوية العلم في المساجد الكبيرة يقصد بها اشتغال العالم مع جماعة من الطلبة بالعلم في أحد أركان المسجد، ثم تطورت الزوايا بعد ذلك لتصبح منشآت مستقلة مخصصة لأحد العلماء أو الصوفية أو لجماعة منهم، وقد تخصص لتدريس مذهب معين أو علم معين أو لتعليم القرآن الكريم.

ب- منشآت الصحة العامة:

١ - اليمارستان:

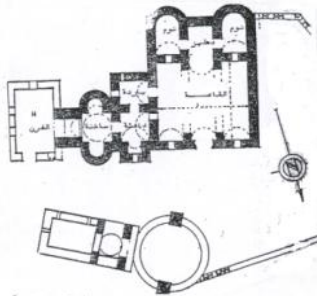


بیمارستان: بفتح الراء أو كسرهما كلمة فارسية مركبة تتكون من مقطعين: "بیمار" ويعني مريض أو عليل أو مصاب، و"ستان" ويعني مكان أو دار أو محل، فهي دار المرضى وتعني المستشفى المخصص للعلاج وإقامة المرضى، ثم اختصرت الكلمة فصارت بيمارستان ومرستان، وهو مستشفى عام لمعالجة كافة الأمراض، وقد اعتنى بتشيدده الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء وأهل الخير لمداواة المرضى، ولذلك يعد واحداً من أهم المنجزات الحضارية التي ارتبطت بانتشار الإسلام وقوته.

وكان الرسول ﷺ أول من اتخذ اليمارستانات في الإسلام وكانت عبارة عن خيمة نصبها في صحن المسجد لعلاج الجرحى في معركة الخندق، وكانت رفيعة الأسلمية أول طبية في الإسلام تقوم بمداواة الجرحى في تلك الخيمة، فقد كان ﷺ إذا أصيب أحد المسلمين يقول "اجعلوه في خيمة رفيعة حتى أعوده من قريب"، وبذلك سن رسول الله ﷺ سنة إقامة المستشفيات مهما كانت بساطتها.

وبعد فتح فارس استفاد المسلمون من بيمارستان كسرى في العلاج وفي تخريج عدد من الأطباء، وفي اقتباس طريقة البناء ونظام الدراسة والعلاج والعمل وطبقوها في اليمارستانات التي بنوها في مختلف أرجاء العالم الإسلامي ومنها: دار المرضى الذي أنشأها الوليد بن عبد الملك بدمشق سنة ٨٨هـ، وكانت تحتوي على جناح خاص "معازل" لمرضى الجذام المعدي.

٢ - الحمام:



الحمة: العين الحارة يستوفي بها الناس، وحممت الماء سخنته، والحميم والحميمة الماء الحار، وكل ما سخن فقد حم، والاستحمام الاغتسال بالماء الحار.

والحمام وجمعها حمامات في الآثار مباني خاصة يتم الاستحمام والعلاج

فيها، أي أنها تتكون من وحدات معمارية، وهي ليست من ابتكار المسلمين فقد وجدت قبل ذلك في حضارات ما قبل الإسلام كما في مصر الفرعونية، وفي الحضارات اليونانية والرومانية واشتهرت كثيراً في الحضارة البيزنطية، ونظراً لأهمية الحمام في الإسلام فقد تم تطويره بما يتوافق مع طبيعة طقس البلاد الإسلامية وكذلك العادات والتقاليد والأوامر الإسلامية.

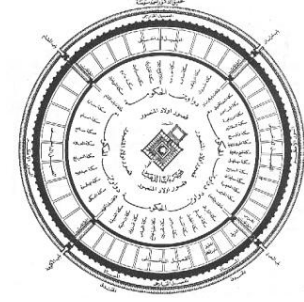
وتخطيط الحمام مكون من ثلاث غرف: باردة، ودافئة، وساخنة، بالإضافة إلى موقد ومصدر للمياه.

ثالثاً- المنشآت المدنية:

تنقسم المنشآت المدنية إلى ثلاثة أنواع هي: المنشآت السكنية، المنشآت التجارية، المنشآت المائية.

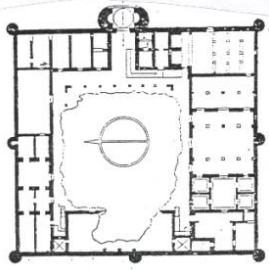
أ- المنشآت السكنية:

١- المدينة:



المدينة في اللغة مشتقة من الأصل "دين" وهي كلمة ذات أصل آرامي سامي وتعني القضاء، والمدينة في القرآن هي الموضع الذي عليه حكام وملوك، وفيها الصيغة القضائية والدينية والإدارية والسياسية، ولذلك جاء تمييز المدينة عن القرية في القرآن على أساس سمة التقاضي، والمدينة في الفقه الإسلامي هي المصر الذي تقام فيه صلاة الجمعة، والمصر في الفقه هو المكان الذي يوجد فيه سلطان يقيم الحدود وقاض ينفذ الأحكام، والمدينة عند المؤرخين هي التي يتوسطها حصن أو قلعة.

٢- القصر:



يعد بناء القصر الإسلامي في مقدمة أنواع العمائر المدنية التي حظيت باهتمام واضح، نظراً لما يمثله من تعبير عن طابع الفخامة والثراء والهيبة وقوة الدولة، وقد بدأ بناء القصور في العصر الأموي ولكن لم يبق من القصور الأموية إلا القليل نظراً لتوسع المدن والتجديد في مبانيها.

أما قصور البوادي فقد ظلت باقية لأنها كانت تقع في أماكن منعزلة وبعيدة لذلك ظلت أطلالها قائمة تمدنا بمعلومات كاملة عن التخطيط المعماري لتلك القصور.

وكانت القصور الأموية تتكون من سور خارجي يحيط بالقصر يخلو من الفتحات والزخارف، والسور محصن بأبراج لتدعيم الجدران وإظهار المبنى بمظهر قوي.

٣- المنزل:

هو أحد عناصر العمارة المدنية وأكثرها انتشاراً وبناءً وعمراً، فهو المكان الذي يعيش فيه الإنسان، ولذلك تواصلت عمارته عبر العصور وتكاملت وحداته ومخططاته عبر الزمن.

وقد كان المنزل الإسلامي أول الأمر بسيطاً، مساحته صغيرة وخال من الزخرفة والتأنق، وخير مثال على ذلك بيوت النبي ﷺ، التي كانت مساحة كل منها لا تزيد عن ٢٠×٢٠ ذراع، وبنيت من مواد بناء المسجد نفسها أي اللبن وغطيت بجريد النخل المطرور (أي المغطى) بالطين، وكان لبيت عائشة ﷺ مصراع واحد من عرعر أو ساج.

وفي العصر الأموي تطور المنزل الإسلامي كثيراً بحيث أصبح مكوناً - في الغالب - من فناء مكشوف تتوسطه في الغالب نافورة أو فسقية وعدد من أحواض الزرع، ويطل على الفناء إيوان أو أكثر، يكتنف الإيوان حجرتان يتقدمهما سقيفة مستعرضة، وللمنزل مدخل منكسر يحجب المارة عن رؤية من في الداخل.

ب- المنشآت التجارية:

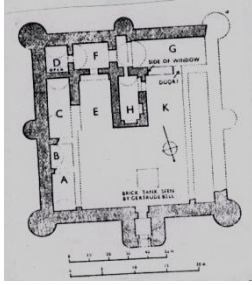
تتنوع المباني التجارية إلى عدة أنواع منها: السوق، الخان، الوكالة، الفندق، السمسرة، القيسارية.

١ - السوق:

الأسواق عبارة عن أحياء تجارية مغلقة ومسقوفة تقام قرب المساجد الجامعة، وأول سوق بني في العصر الإسلامي هو سوق المدينة المنورة الذي أمر بإنشائه الرسول ﷺ، بدلاً من استخدام المسلمين لأسواق اليهود في المدينة خاصة بعد مضايقة اليهود لهم، وكان هذا السوق عبارة عن مساحة مكشوفة. أما السوق التجارية المتكاملة فكان أول إنشاء لها بمدينة الكوفة في العصر الأموي، حيث بني عدد من الحوانيت تطل على عدد من الشوارع وجعل لكل منها سقوفاً معقودة بالأجر والجص، وخصص لكل نوع من التجارة شارعاً معيناً، وقد شاع هذا النظام في مختلف المدن الإسلامية.

٢ - الخان:

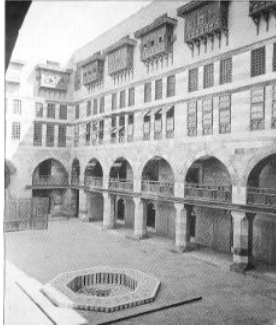
الخان وتجمع على خانات: كلمة فارسية وتركية معربة مشتقة من اللغة الآرامية ويقصد في الفارسية الحانوت أو الدكان، وبإضافة الهاء (خانة) تعني البيت أو المنزل التي يسكنها التجار، وبالتركية دار العمل والتجارة.



وتبنى الخانات داخل المدن وخارجها على مراحل الطرق لمبيت التجار وقوافلهم التجارية، وهناك نوعين من الخانات: خان التجارة، وخان البريد.

٣ - الوكالة:

الوكالة وجمعها وكالات ووكانل، وتتطق بفتح الواو وكسرهما لفظ مأخوذ من الفعل وكل، وسميت وكالة لأنها موضع التوكيل والوكلاء، وهي مكونة من بناء مربع أو مستطيل متعدد الطوابق.



٤ - السمسرة:

السمسرة من الفعل "سمسر" لفظ فارسي معرب يعني التوسط بين البائع والمشتري، والسمسار وجمعه سماسرة هو الوسيط بين الشاري والمشتري لتسهيل عملية البيع، والسمسرة مصطلح يعني خاص يقصد به المبنى الذي يقيم فيه التجار الغرباء وفيها يعرضون بضاعتهم لبيعها على التجار المحليين.

ج- المنشآت المائية:

تعددت المنشآت المائية حسب وظائفها ومنها: السقاية، السبيل، القناة، القنطرة، الساقية، البركة، السد، الحوض، البئر، المايل، وفيما يلي وصف موجز لكل منها:

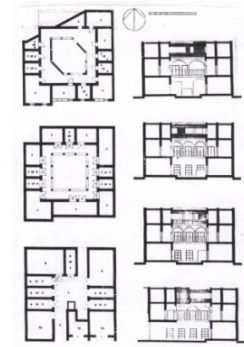
١ - السقاية:

السقاية لفظة عربية مصدرها كلمة سقى، والسقاية بكسر السين الموضع الذي يتخذ لسقي الناس.

وتتكون من بناء صغير يحتوي على خزان صغير مربع أو مستطيل الشكل مبني فوق سطح الأرض ومغطى مباشرة بقبة صغيرة أو قبو، وله شباك يتم استخراج الماء من خلاله بواسطة الأكواب.

٢ - السبيل:

سبل الشيء أي جعله مباحاً في سبيل الله، السبيل مكان لاستقاء الماء، وفي اللغة أسبل المطر بمعنى



هطل، وأسبل الماء أي صبه، والسبيل من المنشآت الإسلامية المتصلة باستخدام الماء وشربه، وقد جرت عادة المسلمين على إقامته داخل المدن لسقي المارة وإروائهم من باب التقرب إلى الله.



يتكون السبيل عادة من طابقتين: صهريج مبني في باطن الأرض مغطى بقبو أو قبة يتم فيه تخزين الماء وتعلوه المزملة أو حجرة السبيل ذات تخطيط مربع أو مستطيل أو مئمن أرضيتها مبلطة بالرخام، وبواجهة الحجرة شبابيك للتسبيل، وبصدرها سلسبيل (شاذوران) وهولوح من الرخام ذو زخارف محفورة ينساب عليها الماء لتبريده ويصب داخل حوض خاص حيث يزود الحوض بمواد ملطفة كالسكر أو الزبيب أو غيرها لتعطي نكهة طيبة وطعمًا لذيذًا للماء، ويقوم موظف السبيل الذي يعرف باسم السقاء بتوزيع الماء المسبل على أحواض أو قلل قرب شبابيك السبيل يستقي منها المارة.

٣ - القناة والساقية:



القناة وجمعها قنوات عبارة عن أنابيب تمتد من مصدر الماء حتى المكان المراد وصول الماء إليه سواء أكانت منزلاً أم مدينة. والقناة من حيث مادة صنعها على ثلاثة أنواع: الأول أنابيب مصنوعة من المعدن كالرصاص أو النحاس، والثاني أنابيب مصنوعة من الفخار المحروق، والثالث قنوات مبنية بناءً بالحجر.

ولهذه القنوات وظيفتان: قنوات مخصصة لنقل الماء العذب إلى المدن كما في قنوات مدينة زبيد، وقنوات تصريف المياه العكرة (المجاري) من المنازل إلى خارج المدينة كقنوات مدينة الفسطاط. ومن حيث البناء هناك نوعين من القنوات: أولها القنوات الظاهرة فوق سطح الأرض، والثاني القنوات المغيبة في باطن الأرض.

أما الساقية فهي مرادفة للقناة من حيث الشكل ومن حيث الوظيفة، لكن الساقية في الغالب تكون مكشوفة وقد تكون غير مبنية بالحجارة وإنما عبارة عن حاجزين من التراب، وتقع في الغالب في الأراضي الزراعية حيث يتم نقل الماء إليها لريها من العيون أو من الأنهار أو من السدود والخزانات.



٤ - القنطرة:

القنطرة في اللغة الجسر وما يعلو من البناء، والقنطرة ما يبنى على الماء للعبور عليه، وكل بناء معقود بعقد، ويستوي في ذلك قناطر نقل الماء أو قناطر الجسور

المخصصة لعبور الناس فوق النهر أو الوادي.

٥ - البركة:

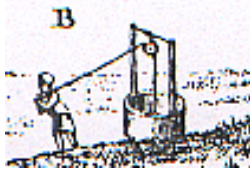


البركة وجمعها برك: عبارة عن خزان يختلف حجمها من بركة إلى أخرى، وتكون محفورة في الأرض ومبنية بالحجارة ومكسوة بطبقة من ملاط الجص أو القضاض أو الخافقي، وقد تكون البركة مغطاة أو مكشوفة، وغالباً ما توجد البرك وسط ميضات المساجد والجوامع والمدارس، حيث يتم تزويدها بالماء من الآبار الملحقة بالمساجد والمدارس.

٦ - السد:

وجمعه سدود: عبارة عن حاجز مائي مبني بالتراب الطيني أو بالأحجار، وغالباً ما يقع السد بين جبلين على

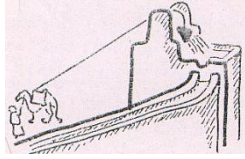
جانبى الوادي، وقد يكون السد على مجرى مائي مستديم كالسدود التي تقع على الأنهار، وقد تكون على مجاري مياه الأمطار ومن أشهرها سد مأرب، كما أن السدود على نوعين: سدود تحويلية تقوم بتحويل الماء من المنطقة المنخفضة إلى المنطقة المرتفعة، وسدود تخزينية يتم تجميع الماء فيها من مواسم المطر إلى مواسم الجفاف لري الأراضي الزراعية.



٧- البئر:

عبارة عن حفرة في عمق الأرض، طويت جدرانها بالحجارة على هيئة مداميك منتظمة، ولها ثلاثة أنواع:

النوع الأول: وهي آبار خاصة مكونة من حفرة دائرية عميقة يتم نزع الماء منها بواسطة الدلو والبكرة الخشبية التي تعلو فوهة البئر.



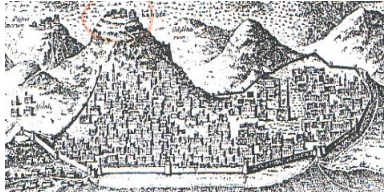
النوع الثاني: آبار ذات منحدر مكشوف أو مغطى بأقبية برميلية أو بسقوف خشبية مسطحة، يسير المنحدر لمسافة تتفق مع عمق البئر بحيث يكون نهايته مع وصول الدلو بالماء إلى فوهة البئر.

النوع الثالث: عبارة عن حفرة دائرية كبيرة يضيق اتساعها كلما اتجهنا إلى الأسفل بحيث تنتهي عند الماء في قعر البئر، وتبنى جدرانها بشكل مائل نحو الخارج، وللبئر سلم أو أكثر يهبط من أعلاها نحو الأسفل ويدور مع جدران البئر حتى مصدر الماء.

رابعاً: المنشآت العسكرية:

تنقسم المنشآت العسكرية إلى خمسة أنواع هي: السور، القلعة، الحصن، الخندق، أبراج المراقبة:

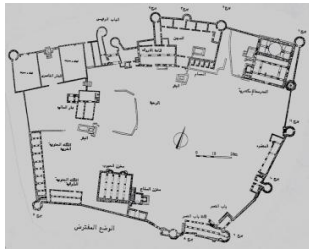
أ- السور



السور في اللغة حائط المدينة وجمعها أسوار، وقد شكلت أسوار المدن أهم الاستحكامات الحربية، كونها تعد من أهم المنشآت المعمارية الحربية التي يهتم الحكام بتشييدها حماية لمدنهم ودفاعاً عن أملاكهم، وقد

يحيط بالمدينة كلياً في المدن التي تبنى في السهول والوديان، أو جزئياً في المدن التي تبنى في المناطق الجبلية. وتبنى الأسوار في الغالب بإحدى مواد ثلاث: الأحجار وخاصة في المدن الجبلية، أو الأجر المحروق أو الطين النيئ على شكل قوالب من اللبن المجفف بالشمس أو على شكل كتل من الطين يبنى بها مباشرة وخاصة في مدن السهول والسواحل، ويدعم السور على مسافات محددة أبراج يزيد ارتفاعها عن مستوى ارتفاع السور، وتحتوي على عدد من العناصر الدفاعية كالمزاغل والسقاطات والممشى بجدرانه الساترة.

ب- القلعة:



القلعة في اللغة الحصن على الجبل، وكانت نشأة القلاع الأولى كقصر للملك أو الحاكم يشغل ركناً من أركان المدينة وغالباً ما يكون على تلة مرتفعة أو جبل عال، ومحاطاً بسور خاص يتصل بالسور الأصلي للمدينة، ويدعمه عناصر دفاعية متنوعة كالبوابات المنكسرة والأبراج ذات المزاغل والسقاطات.

وتحتوي القلاع على ثكنات لإقامة الجند، ومخازن للسلاح والغذاء، وأبار أو صهاريج لتخزين المياه، ومسجد لأداء الصلاة، وسجن لمن يخرج عن الطاعة، وإسطبلات للخيل والدواب، وعدد من المنشآت العامة كالحمامات ودواوين الوظائف الإدارية والقضائية والحربية ومنها دار الأدب ودار العدل، ودار الإمارة.

ج- الحصن:



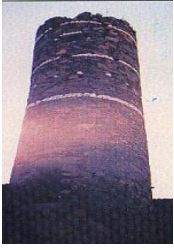
الحصن مفرد حصون: مبنى يشبه القلعة من حيث الشكل ومن حيث احتوائه على ثكنات للجند وغير ذلك، لكن الحصن يتميز بوقوعه على قمة جبل عال قد يكون قريباً من مدينة ما لكنه لا يتصل بها.

د- الخندق:



الخندق في اللغة الوادي والحفير حول أسوار المدن، وخندق حوله حفر خندقاً، وقد استخدم الخندق كعنصر دفاعي منذ عصر ما قبل الإسلام، في العراق وفارس ومصر وغيرها، وكان أول استخدام للخندق في العصر الإسلامي في عهد الرسول ﷺ سنة ٦٢٦م عندما أحاط جزء من المدينة بخندق قبيل غزوة الأحزاب، ثم انتشر حفر الخنادق بعد ذلك في مختلف مدن العالم الإسلامي وقلاعه، ومن أشهر الخنادق في العصر الإسلامي خندق مدينة بغداد.

هـ- أبراج المراقبة:



هي عبارة عن مبان تقام في رؤوس الجبال وعلى السواحل بطول مناطق التماس مع العدو وتمتد حتى العاصمة، وتعرف باسم المناظر، والمراقب ومفردها مرقب، وأيضاً الطلائع، وكان يقيم بكل برج عدد من الجند بشكل دائم مهمتهم مراقبة تحركات العدو وإبلاغ الحاكم بذلك.

وتتكون في الغالب من أبراج دائرية أو مربعة أو مستطيلة ذات طابقين أو ثلاثة: الأعلى منها مكشوف مخصص للمراقبة في جميع الاتجاهات، والأوسط مخصص للسكن والمراقبة أثناء المطر، في حين يستخدم الأرضي كمخزن للأسلحة وأدوات ومؤونة المرتبين في البرج.

المبحث الثاني: العناصر المعمارية:

تتنوع العناصر المعمارية ما بين عناصر إنشائية وعناصر تخطيطية:

أولاً: العناصر الإنشائية:

أ- مواد البناء:

- تعددت مواد البناء بتعدد الأقاليم وتنوع التضاريس والمناخ والطقس، فالمناطق الجبلية والمطيرة تستخدم غالباً الأحجار بأنواعها المختلفة أو الحجر في البناء، والمناطق السهلية تستخدم الحجر أو الطين اللبن، وغالباً ما تستخدم مع الأحجار أو الحجر مواد مساعدة ومثبتة لقوالب البناء أو لتكسية الجدران وتغشية فتحاتها، ومن أهم هذه المواد:
- النورة وهي مادة كلسية تشبه الجص تعرف باسم الخرشاب أو الكلس أو الجير الحي.
- الجص: يعرف بألفاظ عدة الجص، القص، الجبس، واصله لفظ فارسي معرب عن كلمة كَجْ، ويتكون من كبريتات الكالسيوم وكبريتات الجير محتوية على الماء، ويستخدم الجص في زخرفة الجدران من الخارج وطلائها وزخرفتها من الداخل وكذلك في عمل الأرفف على الجدران.
- الأخشاب: استخدمت الأخشاب بأنواعها وأحجامها وأشكالها في عمل السقوف الخشبية والأبواب والشبابيك، وأهم أنواعها: الزان والسدر والحوار والتألب والعرعر والاثل والطلح.

ب: المداخل:



تعددت أنواع المداخل بتعدد المنشآت ومن أهم أنواعها:

١ - **المدخل المباشر أو البسيط:** هو الذي يمكن الوصول عبره إلى المدينة أو المبنى مباشرة دون الاضطرار إلى الانحراف يمنة أو يسرة، وقد وجدت هذه المداخل في العديد من مباني



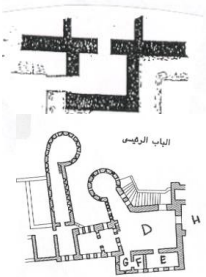
المدن سواء القديمة أو الإسلامية

٢ - **المدخل التذكاري البارز:** تعد المداخل التذكارية البارزة من المداخل التي ابتكرت وانتشرت في المغرب الإسلامي، ويتكون من جدارين يبرزان عن الواجهة يغطيان من أعلى بقبو أو بقبة



٣ - **المدخل المرتد:** يتكون من كتلة ترتد نحو الداخل حيث يتكون من مساحة مربعة محصورة بين وحدات معمارية ويغطي المساحة المربعة قبو أو بقبة.

٤ - **المدخل المنكسر:** يعرف كذلك باسم الباشورة، والمدخل ذو المرفق، والمدخل ذو العطف والمدخل المزور والمدخل المنحني، وسمي بهذا الاسم لأن تصميمه يجعل الداخل إليه ينعطف يساراً أو يميناً مرة أو أكثر ليصل إلى داخل المدينة أو القلعة أو المنشآت الأخرى.

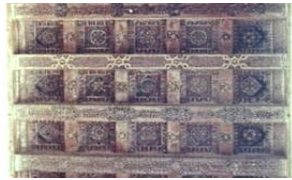


٥ - **المدخل الموروب:** يعد حلقة الوصل بين المدخل المباشر والمدخل المنكسر، حيث إن فتحة الباب في الأصل مباشرة، لكن البرجين اللذين يكتنفا المدخل ويتقدمانه بشكل بارز ويميلان نحو بعضهما.

ج: التغطيات:

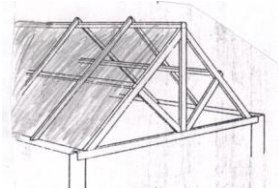
يقصد بها الأسقف التي تغطي المنشآت على اختلاف أنواعها ومنها:

١ - السقف المسطح:



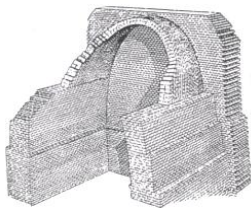
السقف وجمعها سقوف وسُقْف: أعلى البيت المقابل للأرض أي هو غطاء الأماكن من الداخل وتتكون من كتل خشبية كبيرة مستطيلة ذات بدن دائري الشكل (طميمة) تمتد بين جدارين، تعلوها قطع صغيرة ورفيعة من الأخشاب أو الخوص أو القصب، وتغطي بأعواد رفيعة من عصب النخل ثم تغطي بطبقة من الأعشاب والأعلاف، ثم تغطي بطبقة من الطين المخلوط بالقش، ثم طبقة من التراب الجاف، ثم طبقة من الجص أو النورة المخلوطة بالرمل لمنع تسرب المياه.

٢ - الجملون:



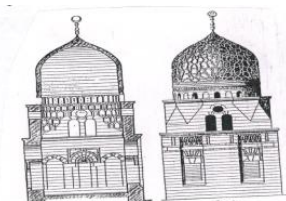
الجملون وجمعها جملونات كلمة سريانية الأصل وأصلها جمل زيدت عليها الواو والنون للتصغير وبه شبه السقف المحدب حيث يقصد بالجملون السقف المسنن على هيئة سنام الجمل أي المبني على شكل مثلث يغطي المبنى أوجزه منه، وتبنى الأسقف الجملونية في الغالب من الأخشاب.

٣ - القبو:



قبو: قبا الشيء قبواً جمعه بأصابعه، ويستخدم اللفظ للدلالة على نوع من السقوف مقوس، وله عدة أنواع بحسب شكل تقويسه.

٤ - القبة:

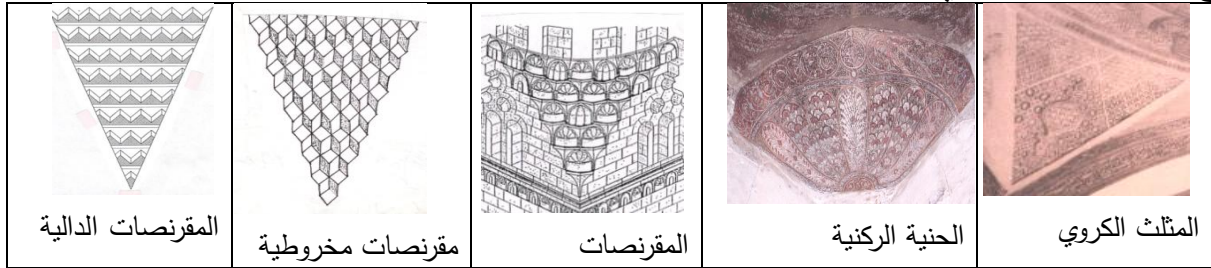


القبة وجمعها قباب وقباب لفظ معرب من كبه ومعناها كل شيء منتفخ،

والقبة من العناصر المعمارية التي انتقلت من عمارات عصر ما قبل الإسلام، وقد استخدمت في الغالب في تغطية المنشآت الدينية ومن أقدم الأمثلة في العصر الإسلامي قبة الصخرة بالقدس الشريف المؤرخة بسنة ٦٧٢هـ/٦٩١م.

٥: مناطق الانتقال:

هي عنصر معماري يتم به تحويل مربع البناء عند قمته إلى مثن ثم دائرة لبناء القبة التي تغطيه، ولها عدة أنواع ومنها: المثلث الكروي، والحنية الركنية والمقرنصات بأنواعها.



د: المحراب:

المحراب: لفظة مشتقة من الفعل حرب، والمحراب شديد المحاربة لأن المصلي عند صلاته يحارب الشيطان، والمحراب صدر المجلس وقبة المسجد. والمحراب في العمارة الإسلامية عنصر معماري عبارة عن حنية في منتصف جدار القبلة، للدلالة على اتجاه القبلة، وغالباً ما يكون مجوفاً.



هـ: المنبر:

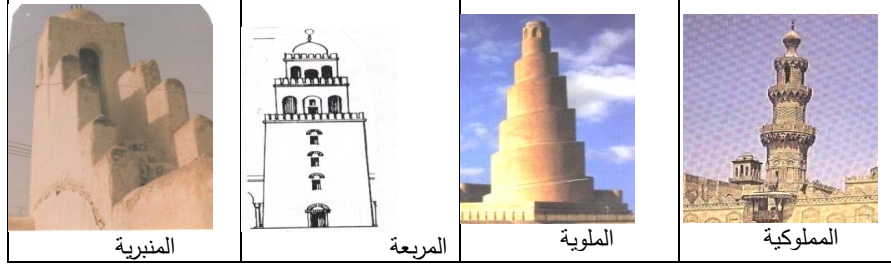
المنبر: نبرت الشيء أي رفعته وبالتشبيه سمي المنبر منبراً لارتفاعه وعلوه، ويقصد به مرقاة الخطيب بالجامع، وهو عنصر معماري مهم وموقعه على يمين المحراب، وهو مخصص لإلقاء خطبة الجمعة، وكان أول ظهور له في عهد الرسول ﷺ، حيث تذكر المصادر التاريخية أن المسجد النبوي لم يكن به منبر أول الأمر بل كان الرسول ﷺ يخطب بالناس واقفاً ثم صنع له جذع من النخل يتكى عليه أثناء الخطبة ثم صنع له منبراً مكون من ثلاث درجات وزاد فيه معاوية ست درجات فصار مكوناً من تسع درجات.



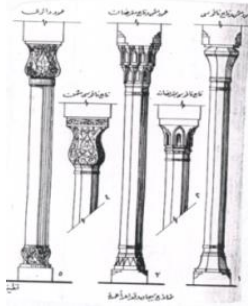
و: المئذنة:

المئذنة: على وزن مفعلة بكسر الميم موضع الأذان والتأذين وتجمع على مآذن وموازن، مشتقة من الفعل آذَن، وتعرف أيضاً باسم المنار والمئذنة، وتجمع على مناور ومنائر، والمنار علامة الطريق وعلامات إرشاد السفن إلى الطرق البحرية، وسميت المئذنة منارة لأنها تضاء بالسرّج في أوقات الصلاة الليلية، وفي المغرب الإسلامي وبعض مناطق اليمن تعرف المئذنة باسم الصومعة مشتقة من الفعل صمغ، وجمعها صوامع وهي بيوت الرهبان الصغيرة، وقد ارتبطت المئذنة بعمارة المساجد والمصليات والمدارس والمنشآت التي تحتوي على مساجد للصلاة، ولم تكن نشأة المئذنة مع نشأة المسجد النبوي في السنة الأولى من الهجرة بل كان بلال رضي الله عنه يصعد على أعلى سطح مجاور للمسجد وهو بيت أم زيد الأنصارية وقيل دار حفصة بنت عمر ويؤذن عليه، ثم بُني أسطون في دار عبد الله بن عمر الواقعة خلف قبلة المسجد يؤذن عليه بلال يرقى إليها بأطناب أو أقتاب، ويعرف باسم المطمار وقيل أن هذا المطمار كان في المسجد حيث كان يؤذن عليه بلال.

وعليه يمكن القول إن المطمار المربع المذكور كان بمثابة المنذنة الأولى في عهد الرسول ﷺ وعلى غرارها بنيت مآذن المسجد النبوي في عمارة الخليفة عثمان رضي الله عنه له، وكانت مربعة الشكل أيضاً حيث يذكر المؤرخون أن " من مآثر عثمان بن عفان بناء المنارات للأذان وكانت في زمانه مربعة الشكل " ثم توالى إنشاء المآذن بعد ذلك في العصور الإسلامية المتتالية، وتنوعت أشكالها وزخارفها وتعددت طوابقها.



ز: الروافع:



تتكون من كل من: الأعمدة، والدعائم، والسواري والأساطين والعقود، وجميعها قد تبنى على شكل بوائك - جمع بائكة - تحمل سقف المسجد أو المبنى بالاشتراك مع الجدران، وتتكون الروافع من:

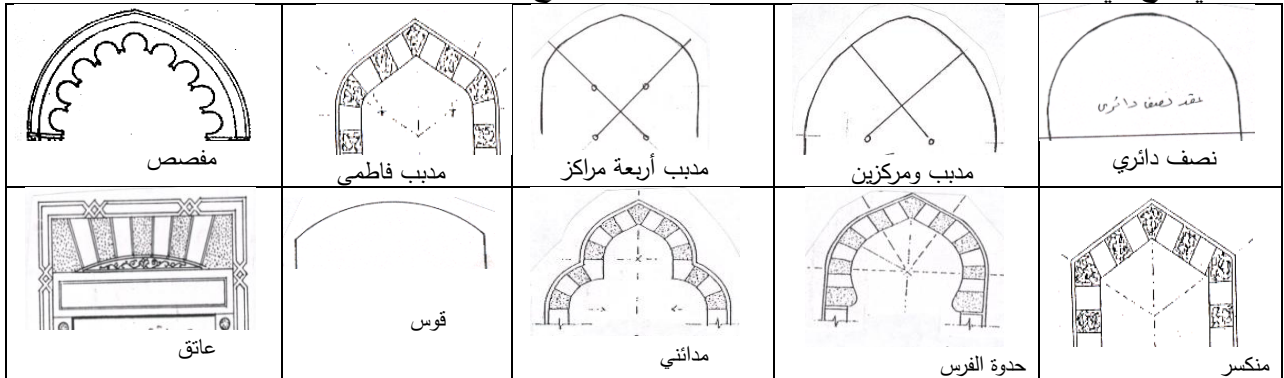
١- الأعمدة: ويتكون كل منها من قطعة واحدة من الحجر مستديرة الشكل أو مربعة أو مضلعة في أسفلها قاعدة وفي أعلاها تاج.

٢- الدعامات: ويقصد بها في العمارة ما يقوى بها البناء أو يحمل عليه السقف عوضاً عن الأعمدة، وتكون مبنية بالأحجار أو بالآجر،

٣- والسارية: وهي الأعمدة الخشبية سواء أكانت من جذوع النخل أو الأخشاب الأخرى.

٤- والأسطون: وهو العمود المصنوع من عدة قطع أسطوانية من الأحجار مثبتة فوق بعضها بطريقة الذكر والأنثى، أو بطريقة زرع قضبان من المعدن في ثقوب محفورة في وسط القطع كلها.

٥- العقود: العقد طاق البناء المعطوف على شكل قوس، مبنياً من عدة قطع من الأحجار أو الآجر المتلاصقة، ويتكون العقد من عدة أجزاء: رجلا العقد وهما الطرفان السفليان له، وبطن العقد وهو الوجه الأسفل للعقد، وصنجات العقد وهي القطع المبنى منها العقد، ومفتاح العقد وهو القطعة الحجرية أو الآجرية التي تقع في منتصف العقد، وللعقد من حيث شكله عدة أنواع من أهمها:



ح: دكة المبلغ:

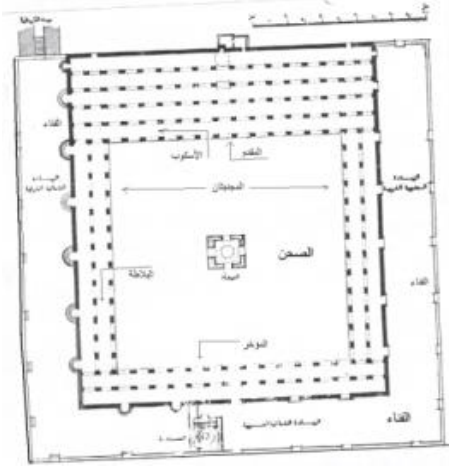


دكة دكة دكاً، الدكة المستوي من الأرض، والدكة والدكاء ما يسطح أعلاه كالمقعد، وبذلك أصبحت الدكة مقاعد يجلس الناس عليها في الأسواق لعرض بضائعهم، والدكة عبارة عن مسطبة مصنوعة من الخشب، والدكة في العمارة الدينية بناء محمول على أعمدة

تتصب في الجهة المقابلة للمحراب قرب الصحن، مخصصة للمؤذنين الذين يرددون التكبير بعد الإمام بصوت عال لإسماع المصلين في مؤخرة المسجد.

ثانياً: العناصر التخطيطية:

أ: الصحن:



هوالمساحة المكشوفة التي تتوسط المنشآت كالجوامع والمدارس والمنشآت التجارية والمنازل، ويعرف كذلك بعد أسماء منها: الفناء الأوسط، والرحبة، والساحة، والباحة، والصرحة، والصوح، والشماسي، والشمسية، والحائر، والدر قاعة، والحرم والمصباح. والصحن من حيث الشكل والوظيفة أنشأه المعمار في المسجد مكشوفاً لعدة أسباب منها: جلوس الناس فيه في الشتاء للتدفئة، وإضاءة بقية أجزاء المسجد المظلمة، وأداء الصلوات التي يجب أن تصلى في الخلاء المكشوف كصلاة الاستسقاء والعيدين.

ب: الفناء:

هوالمساحة المكشوفة التي تحيط بالمبنى من جميع الجهات أو من بعض جهاته (الحوش) ومحددة بجدار لحماية المبنى وليكون متنفساً لساكنيه أوالمترددين عليه.

ج: المقدم:

هوالقسم الأمامي من المسجد والذي يحتوي على المحراب والمنبر ودكة المبلغ وهو مقسم إلى عدة بلاطات وأساكيب بواسطة بوائك مكونة من أعمدة أو دعامات تحمل عقوداً.

د: المؤخر:

هو الجزء المقابل للمقدم، ويمثله من حيث الشكل، وقد يتساوى معه أو يختلف من حيث عدد البلاطات.

هـ: المجنبتان أو الجناحان:

ويقصد بهما ما يقع من بناء على يمين الصحن وميسرته، وهما مشابهان للمقدم والمؤخر من حيث البناء ويختلفان من حيث اتجاه البوائك.

و: الرواق أو السقيفة:

الرواق في اللغة: رواق البيت أي مقدمه ويقصد به السقيفة التي تتقدم البيت أو المسجد عند مدخله الرئيسي، أو صف البوائك المعقودة المطلة على الصحن والمحيط به بهدف تيسير انتقال المرء من مكان إلى آخر داخل المبنى دون التعرض للمطر أو الشمس.

ز: البلاطة والأسكوب:

البلاط في اللغة الأرض المستوية والأرض المبلطة هي المفروشة بالبلاط، والبلاط الحجارة تفرش به الأرض، والبلاطة في العمارة: هي المساحة المحصورة بين صفين من الروافع أو بين صف من الروافع والجدار سواء أكانت عمودية على جدار القبلة أم موازية لها، وتعرف أيضاً في بعض البلاد الإسلامية باسم الأسكوب أو الرواق أو البهو أو الكور أو المعزية أو الجناح.





ح: البلاطة الوسطى:

يقصد بها بلاطة المحراب وهي البلاطة الوسطى من مقدم المسجد أو مؤخره أو منهما معاً بشرط أن تكون أكثر اتساعاً وارتفاعاً من بقية البلاطات.



ي: الإيوان:

الإيوان: كلمة فارسية معربة مأخوذة من كلمة (إيفان) وتعني قاعة العرش ومنه إيوان كسرى، وفي العمارة عبارة عن وحدة معمارية مربعة أو مستطيلة مغلقة من ثلاث جهات بثلاثة جدران ومفتوحة من الجهة الرابعة، وغالباً ما يغطي الإيوان بقبوة.

ثالثاً: العناصر الحربية:

أ: البرج:

البرجُ بالضم الركن والحصن، وبرج الحصن ركنه وجمعه بروج وأبراج، وربما سمي الحصن به، والبرج كل ظاهر مرتفع ومنه بروج سور المدينة وسميت البروج بروجاً لظهورها وبيانها وارتفاعها، وبروج سور المدينة والحصن عبارة عن بيوت تبنى على السور يتجمع فيها الجنود للدفاع عن السور.



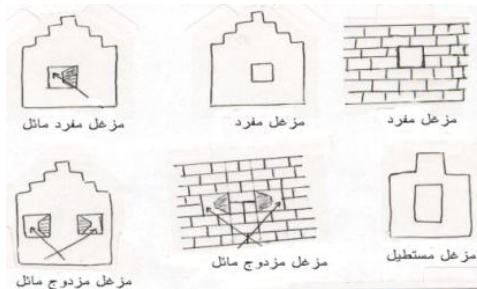
ب: الجدار الساتر والممشى:

الجدار الساتر: هو عبارة عن حائط يعلو الواجهات الخارجية والجانبية أمام الممشى الذي يعلو الثكنات أو الأبراج أو الأبواب أو بدن السور فيما بين الأبراج، مبني بالآجر بارتفاع قدر قامته الإنسان ويشغل الجدار الساتر صف أو أكثر من المزاغل المربعة والمستطيلة مزدوجة أو مفردة، وعدد من السقاطات البارزة والمغنية والمائلة.

أما الممشى فهو عبارة عن ممر استطراق أو مساحة مكشوفة مربعة أو مستطيلة أو دائرية تعلو الأسوار والأبراج والثكنات، مخصصاً لمرور الجند وانتقالهم من مكان إلى آخر أثناء حراسة المدينة والمراقبة والدفاع عنها، كما يمثل عنصر ربط وتوصيل بين الأبراج.

ج: المزاغل:

المزاغل وتعرف كذلك باسم المرامي، والطلاقة وجمعها طلاقات، عبارة عن فتحة للرمي على هيئة شق مستطيل رأسي أو مربع، ضيق من الخارج ومتسع من الداخل لتسهيل حركة المدافعين، وقد وجد في مختلف العمار الحربية قبل الإسلام، وتنوع إلى ثلاثة أنواع: المزاغل المفردة: وتتكون من فتحة مربعة أو مستطيلة مباشرة أو مائلة متوجة بعقد صغير منكسر، والمزاغل المزدوجة وتتكون من فتحتي مزغل تقعان داخل فتحة معقودة، وقد تكون الفتحتان مباشرتان أو مائلتان، وهناك المزاغل المتسعة التي تسمح بحركة الأسلحة الضخمة وخاصة المدافع بعد اختراعها.





د: السقاطات:

عبارة عن فتحات بأعلى الأسوار أو البوابات يستخدمها المدافعون في إلقاء المواد الحارقة والأحجار والسهام على كل من يحاول اقتحامها، وهي على نوعين: سقاطات بارزة، وسقاطات مغيبة

الوحدة الثانية: العمارة: في صدر الإسلام:

سوف نتناول عمارة عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين باعتبارها أساس العمارة الإسلامية بعد ذلك.

أولاً: عمارة عصر الرسول ﷺ:

يعد المسجد النبوي في المدينة أساس العمارة الإسلامية باعتباره النموذج الذي سارت عليه وتأثرت به عمارة المساجد في العالم الإسلامي، حيث إن أي تغيير كان يحدث في عمارة المسجد النبوي نجد له أثراً مباشراً على عمارة بقية مساجد العالم الإسلامي

بناء المسجد النبوي:

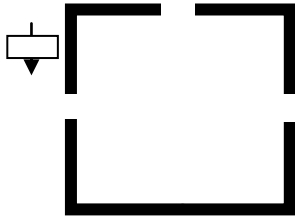
دخل الرسول ﷺ المدينة راكباً ناقته القصواء، وتسابق أهل المدينة أيهم يأخذ بزمام ناقته كلما مر بقوم من أهل المدينة كي ينزل ضيفاً عليهم لكنه أمرهم أن يخلوا سبيل الناقة فهي مأمورة وبركت الناقة في مريد لغلामين يتيمين قرب بيت أبي أيوب الأنصاري فنزل الرسول ضيفاً عليه ثم قام بشراء المريد - وقيل أهدي له - ليبنى مسجد المدينة وكان المريد يحتوي على نخل وقبور فأمر بالنخل فقطعت وبالقبور فنبتشت وأمر بإعداد اللبن من تراب المريد ما يكفي لبناء المسجد.

وقد ذكر ابن سعد في صفة بناء المسجد أن الرسول ﷺ جاء برجل يحسن عجن الطين يعرف باسم طلق بن علي التميمي الحنفي، وقال له ﷺ: رحم الله امرئ أحسن صنعته وقال له الزم أنت هذا الشغل فإني أراك تحسنه ثم قام ببناء المسجد من ذلك اللبن.

مراحل بناء المسجد النبوي:

مر بناء المسجد في عهد الرسول ﷺ بأربع مراحل هي:

المرحلة الأولى:

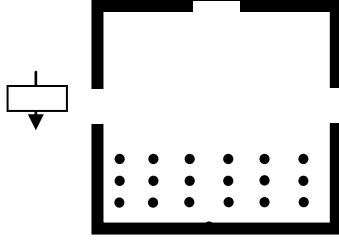


تمت بعد وصول النبي ﷺ إلى المدينة مباشرة، حيث بدأ البناء بأن أخذ بيده

الكريمة حجراً ووضعها في الأساس ثم تبعه أبا بكر فوضعه ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم توالى بعد ذلك أيادي المسلمين من المهاجرين والأنصار في وضع الأحجار واللبن لبناء المسجد.

وكان أساس المسجد مبنياً بعمق ثلاثة أذرع من الأحجار في حين رفعت جدران المسجد بمقدار سبعة أذرع من اللبن، وسمك الجدار حوالي نصف ذراع، وكان أول أمره عبارة عن أربعة جدران تحيط بمساحة من الأرض طولها ٧٠ ذراع، وعرضها ٦٣ ذراع، لا سقف لها ولا ظله، وكان يتم الوصول إلى المسجد من خلال ثلاثة أبواب: باب شرقي يعرف باسم باب جبريل أبواب النبي، وباب غربي يعرف باسم باب الرحمة أبواب عاتكة، وباب جنوبي يعرف باسم باب النساء.

المرحلة الثانية:

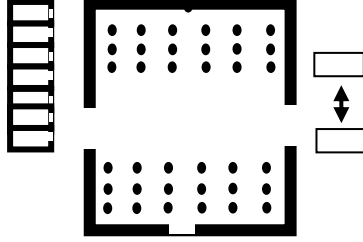


اشتد الحر على المسلمين بسبب وقوفهم للصلاة تحت حر الشمس حيث لم يكن للمسجد سقف فشكوا ذلك للنبي ﷺ وقالوا له: لوأمرت بالمسجد فظلل فقال: نعم فأمر به فأقيمت سواريه من جذوع النخل وطرحت عليها العوارض والإنخدر.

قال أنس رضي الله عنه بنوا المسجد وصفوا النخل قبله وجعلوا عضادتيه من حجارة، قال

السهيلي جعلت قبلته من حجارة منضودة بعضها على بعض وحيطانه من اللبن وعمده من جذوع النخل، وبعد أن ظل المسجد شكا الناس تسرب ماء المطر عبر سعف النخيل فأمر الرسول ﷺ بتغطية السقف بالطين والملاط لمنع نزول المطر على المصلين.

المرحلة الثالثة:



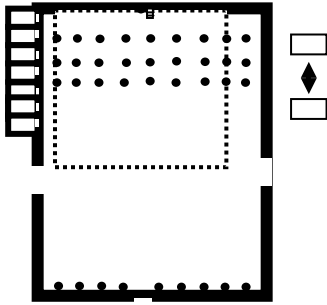
كان الرسول ﷺ يصلي نحوبيت المقدس ولكنه لم يكن راضياً عن تلك

القبلة فأخذ يقلب وجهه في السماء آملاً من الله أن يحدد له قبلته نحوأول بيت

للعبادة في الأرض وهوالكعبة، فنزل الوحي من السماء يوم ١٥ شعبان سنة

٢هـ يأمره بتغيير القبلة نحوالكعبة، قال تعالى (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (البقرة ١٤٤)) وكان الرسول ﷺ أثناء نزول الوحي يصلي الظهر - وقيل العصر - في أحد مساجد المدينة فتحول الرسول ﷺ من فوره أثناء صلاته واتجه نحوالكعبة فصارت قبلة للمسلمين، وعرف المسجد ذاك بمسجد القبلتين، ولأن ظلّة المسجد النبوي كانت باتجاه بيت المقدس فقد قام الرسول ﷺ بإضافة ظلّة جديدة للمسجد النبوي تتجه نحوالقبلة الجديدة أي الكعبة في مكة وبذلك صار للمسجد ظلتان: الظلة الجديدة مصلّى، فيما أصبحت الظلة الأولى مأواً لأهل الصفة.

المرحلة الرابعة:



ضاق المسجد بالمصلين ﷺ بعد فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة فأمر

الرسول بشراء قطعة أرض وأضافها للمسجد وكانت هذه الزيادة من الجهة

الشرقية ١٠ أذرع ومن الجهة الغربية ٢٠ ذراع ومن الجهة الشمالية ٣٠ ذراع.

وبهذه التوسعة التصق المسجد بمساكن زوجات الرسول حيث بلغت التوسعة

حدود الحجرات لأن الرسول ﷺ أخذ الشارع وإضافة إلى المسجد مما جعل الحجرات تلتصق بالمسجد حيث يذكر ابن النجار عن الإمام مالك أن حجرات أزواج الرسول ﷺ ليست من المسجد ولكن أبوابها شارة فيه.

زيادات المسجد النبوي بعد وفاة النبي ﷺ:

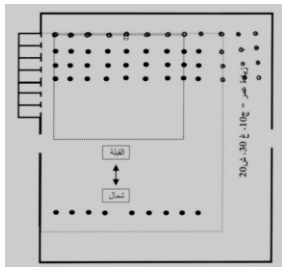
لم يجر أبو بكر رضي الله عنه أي تعديل في بناء المسجد وجدرانه وإنما قام بتجديد سواريه

التي كانت قد تأكل معظمها.

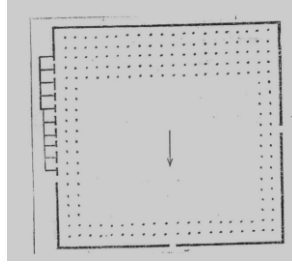
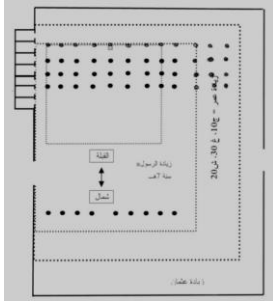
أما في عهد عمر رضي الله عنه فقد ازداد عدد المصلين في المسجد مما أدى إلى عدم

سعته لهم جميعاً لذا قام بعمل زيادة لمساحة المسجد النبوي في الجهة القبلية ١٠

أذرع والشمالية ٢٠ ذراع ومن الجهة الغربية ٣٠ ذراع وارتفاع السقف ١١ ذراع وبسبب هذه الزيادة أدخلت بعض دور المسلمين في المسجد مثل دار جعفر ودار العباس وجعل عمر للمسجد ستة أبواب وبنا أساطين المسجد من اللبن بعد أن نزع جذوع النخل وسقفه من الخشب أوالجريد.



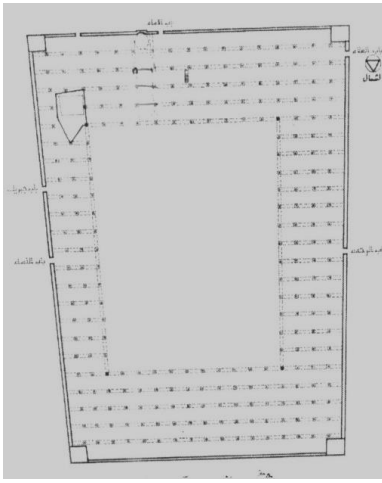
وفي عهد عثمان ؓ اشتكى الناس ضيق المسجد قام عثمان بن عفان ؓ بزيادة مساحة المسجد ٢٠ ذراع في الجهة الشمالية و ١٠ أذرع في الجهة الجنوبية (القبلىة) و ١٠ أذرع في الجهة الغربية وأصبحت مساحة المسجد بعد هذه الزيادة ١٦٠ ذراع طولاً و ١٣٠ ذراع عرضاً، كما قام عثمان ؓ ببناء جدران المسجد بالحجارة المنقوشة والقصة وجعل أعمدته من الحجارة المنقوشة وسقفه من الساج ونقل إليه الحصباء من العقيق، وزاد



في أبوابه، كما زاد عثمان ؓ في مسجد الرسول ؓ بناء المقصورة حول المحراب حتى لا يقتل غيلة كما قتل عمر ؓ. وكان بناؤها من اللبن وتحتوي على نوافذ ينظر إلى الناس منها، وقيل أن الذي بناها هومروان بن الحكم في عهد عثمان ؓ وأنه بناها بالحجارة المنقوشة كما أضاف للمسجد طيقان في الجدارين الشرقي والغربي بلغ عددها ٦٠ طاقة.

ثانياً في عهد الدولة الأموية:

في عام ٨٨ هـ كلف الوليد بن عبد الملك عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز بهدم المسجد وإعادة بنائه من جديد فقام عمر بتكليف صالح بن كيسان بالإشراف على عملية التجديد حيث هدم المسجد وحجرات أزواج النبي ؓ ما عدا حجرة عائشة التي دفن بها النبي ؓ وأضيفت إلى مساحة المسجد وبذلك صارت حجرة النبي ؓ لأول مرة داخل المسجد وكانت الزيادة من الشرق إلى الغرب ٦ أساطين أي ما بين ٤٠-٦٠ ذراع فأصبح طوله من الشرق إلى الغرب ١٦٥ ذراع ومن الشمال إلى الجنوب ٢٠٠ ذراع.



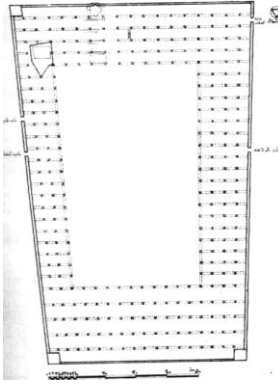
وقد بنى المعمار جدران المسجد بالحجارة والقصة وزينه بالفسيساء والمرمر وعمل سقفه بالساج وماء الذهب وكتب على جدران القبلة وصحن المسجد بالفسيساء أدعية وآيات قرآنية ونص التجديد، أما الأعمدة فقد بناها من حجارة محشوة بعمد من الحديد والرصاص ليس عليها عقود وأصبحت الظلة القبلىة تتكون من ٥ أساكيب بكل صف منها ١٧ عمود مكونة ١٨ بلاطة، أما ظلة المؤخر فتتكون من ٤ أساكيب.

كما أحاط معمار عمر الصحن من شرقية وغربية بمجنبتين: الشرقية مكونة من ٣ أورقة، والغربية من ٤ أورقة، وربما أن عمر أضاف لكل من المجنبتين الشرقية والغربية بعض الأورقة فكما نعرف أن المجنبتين (أوالظلتين) أنشأهما عثمان بن عفان ؓ.

كما قام معمار عمر بإحاطة واجهات الظلات الأربع المطلة على الصحن ببوائك تشرف عليه من ظلة مقدم المسجد ومؤخرة بأحد عشر بائكة، في حين تشرف الظلتين الجانبيتين على الصحن بأربع عشر بائكة، وتوج المعمار أعلى البوائك بشرفات تطل على الصحن وبين كل منها فرج تشبه طاقات الشباك.

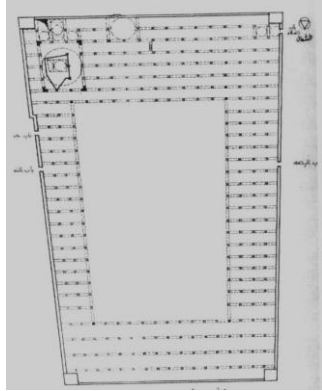
كما أحدث عمر المحراب المجوف في المسجد لأول مرة في تاريخ المساجد الإسلامية، كما جعل للمسجد أربع مآذن أو منارات في كل زاوية منارة مختلفة الارتفاع، وقد هدمت إحداها في عهد سليمان بن عبد الملك لأنه حج ذات عام وزار المدينة وكانت المئذنة مطلة على دار مروان فلما أذن المؤذن أطل على الدار فأمر سليمان بن عبد الملك بهدمها كما زاد عمر في عدد أبواب المسجد فجعلها ٢٠ باب وقيل ٢٤ باب وجدد مقصورة عثمان بالساج بعد أن كانت من الحجارة.

ثالثاً في عهد الدولة العباسية:



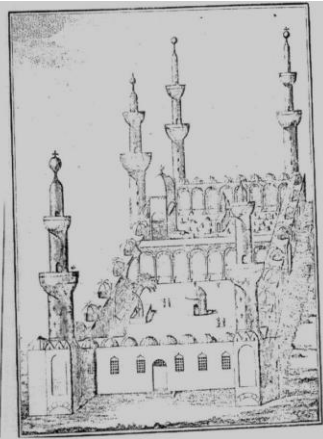
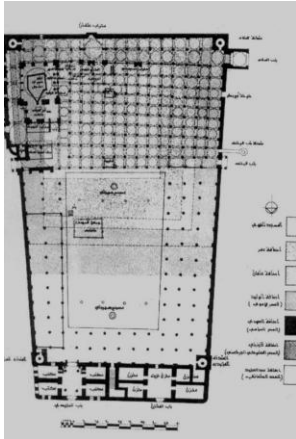
قام أبوجعفر المنصور بعمل ستور للصحن محمولة على أعمدة، فيما أمر المهدي عاملة عبد الله بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز بزيادة المسجد وتجديده وقيل كانت الزيادة من الشمال ٦٥ . ١٠٠ ذراع ولم يزد في مقدمته ولا بقية الجهات كما قيل إن المهدي زخرف مؤخرة المسجد بالفسيساء، وخفظ أرضية المقصورة لتساوي أرضية المسجد، كما أمر المأمون سنة ٢٠٢ هـ بتجديد المسجد وترميمه.

رابعاً: في عهد المماليك:



استقرت حدود المسجد من أيام المهدي إلى سنة ٦٥٤ هـ عندما تعرض المسجد للحريق في هذه السنة فأعيد إصلاحه على يد المماليك في مصر وبني رسول في اليمن حيث أعيد بناء السقف الشمالي الغربي من جديد، حيث قلع وأعيد بناؤه كما أصلح السقف الشمالي وجدد دهان السقف حول المقصورة وعمر أيضاً سنة ٧٠٥ هـ وزيد فيه أسكوبين في مقدم الجامع، كما جدد في السنوات ٨٣١ و ٨٧٩، ٨٨٣ هـ وفي سنة ٨٨٦ هـ احترق المسجد بسبب

صاعقة سقطت بسببها المئذنة الجنوبية فقام السلطان قايتباي بإعادة بناء المئذنة والجدارين القبلي والشرقي وزاد في عرضه ووسع المحراب العثماني وأقام عليه قبة على رؤوس أساطين مدعمة وجعل على جدار الحجرة النبوية قبة في السقف وجعل فوق القبة قبة أخرى على أساطين ودعائم، وبني قبة كبيرة تحيط بها ثلاث صغيرات بين الحجرة النبوية والجدار القبلي وقبتين أخريين أمام باب السلام من الداخل وبني باب السلام بالرخام الأسود والأبيض وزخرف الباب، كما زخرف المحراب العثماني وأعاد ترميم الحجرة الشرقية وما حولها والجدار القبلي وصنع منبراً واتخذ دكة للمؤذن من الرخام وخفض أرض مقدم المسجد حتى ساوى أرض المصلى واتخذ محراباً مجوفاً للمسجد في دعامة أقامها بين المنبر والقبر على حد مسجده ١٠٠ وزخرف المحراب بالرخام الملون وجعل المقصورة في محلها الأول وبني الجدار الغربي من باب الرحمة إلى باب السلام وبني مئذنة باب الرحمة وجعل على الأعمدة الصغيرة عقوداً من الأجر عليها سقف من الخشب وبني مدرسة بجوار باب السلام وباب الرحمة تعرف بالمحمودية.



خامساً في العصر العثماني:

بعد قضاء العثمانيين على المماليك سنة ٩٢٣ هـ جدد المسجد أكثر من مرة ومنها:

- تجديد باب السلام، وباب الرحمة وباب النساء، وبناء المئذنة السليمانية مكان المئذنة السنجارية، وتجديد الجدار الغربي وترخيم الروضة النبوية، وتجديد جدار القبلة، وتجديد الروضة، وعمل منبر من الرخام.

- إضافة أسكوب للمقدم جهة القبلة، وترخيم أرضية المسجد وحائط القبلة واسطوانات الروضة، وهدم القبة النبوية وبناء قبة جديدة مكانها.
- في السنوات ١٢٦٥-١٢٧٧هـ أعيد بناء المسجد كاملاً بحيث أصبح الجناح الغربي مكوناً من ثلاث بلاطات، فيما يتكون الجناح الشرقي من بلاطتين، والمؤخر من أسكوبين، وفضلاً عن ذلك أضيف أسكوبان للمقدم فأصبح مكوناً من ١٢ أسكوب.

ثانياً: العمارة في العصر الراشدي:

بنيت في العصر الراشدي العديد من المساجد وخصوصاً في البلاد التي فتحت في عهدهم كبلاد الشام والعراق ومصر، ومن أهم تلك المساجد:

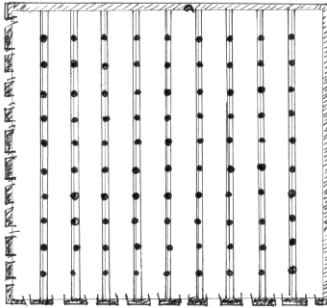
١- المسجد الأقصى:

أولى القبلتين وثالث الحرمين بعد المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوي بالمدينة، يقع داخل ما يعرف بالحرم القدسي الذي يشتمل على عدة منشآت إسلامية من أهمها قبة الصخرة، ويقع المسجد في الجهة الجنوبية من الحرم على بعد ٥٠٠ م من قبة الصخرة جنوباً. وسمي بالمسجد الأقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار لأهل الحجاز، واقتبست تسميته من النص القرآني الذي سماه بهذا الاسم (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله)، كما يعرف باسم بيت المقدس أي المكان المطهر. وقد حدد الرسول ﷺ نشأته بأنه بني بعد الكعبة بأربعين سنة، فهو يعد ثاني مساجد العالم قدماً من حيث النشأة كبقعة مقدسة.

مراحل بناء المسجد:

مر المسجد الأقصى بمرحلتين من الإنشاء هما:

الأولى: وهي من بناء عمر بن الخطاب ؓ سنة ١٥-١٨هـ والذي قام برفع قواعده بنفسه وكان بناؤه الأول من الخشب وسقف بجذوع الأشجار وكان يتسع لثلاثة آلاف مصلٍ. كما ذكر المؤرخون في بناء المسجد الأقصى في عهد عمر ؓ أن الخليفة عمر سأل البطريرك عن موضع يبني فيه مسجده فدلّه على الصخرة التي كلم الله عليها يعقوب ووجد عمر على هذه الصخرة ردم كثير فشرع في إزالته ثم اقتدى به باقي المسلمين فأزالوا ما كان حول الصخرة من ردم ثم أنشأ عمر ؓ مسجده الأول في زاوية منه.



والثانية: هي من بناء الدولة الأموية حيث شرع عهد عبد الملك بن مروان في هدم مسجد عمر سنة ٧٤هـ وبدأ ببناء المسجد الجديد لكنه توفي قبل أن يتمه فأتته بعده ابنه الوليد بن عبد الملك سنة ٨٦هـ.

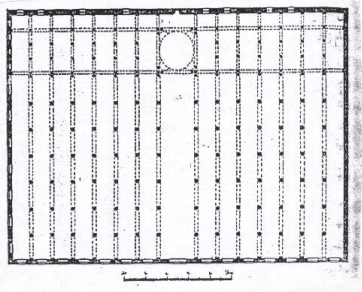
ومن الصعب تحديد المخطط المعماري للمسجد الأقصى في العهد الأموي لأنه لم يبق منه شيء بسبب الكوارث الطبيعية التي أدت إلى تدمير معظم المسجد، ولكن من المؤكد أن المسجد كان يزدان بشتى أنواع الزخارف فقد

كانت أرضيته وأعمدته كما يذكر المؤرخون من الرخام وأبواب المسجد مليئة بصفائح الذهب والفضة.

وقد قام هاملتون بإجراء بعض الحفائر في المسجد وضمن نتائج حفرياته في تقريره عن المسجد ويتضح من رسم هاملتون في المسجد الأقصى في العهد الأموي أنه لم يكن به بلاطة وسطى متسعة كذلك التي تظهر في

العصر العباسي وإنما اتسعت هذه البلاطة عندما أراد الخليفة هارون الرشيد أن يشيد قبة أمام المحراب فتطلب ذلك الاستغناء عن صف الدعامات التي كانت تتوسط المسجد - كما حدث في مسجد القيروان - وبالتالي لم يكن للمسجد الأموي قبة تتصدر بلاطة المحراب وقد ذكر فخر الدين في كتابه الأنس الجليل أن المسجد الأموي هدم مرتين مرة في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور الذي أعاد بنائه ثم في عهد المهدي الذي أمر ببنائه والإقصار من طوله والزيادة في عرضه.

في العصر العباسي:

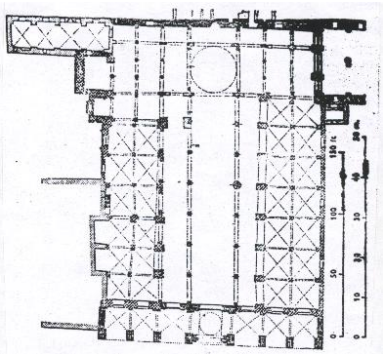


في سنة ١٣٠هـ سقط الجزء الشرقي من المسجد بسبب زلزال ضرب بيت المقدس، وبسبب سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ وانشغال العباسيين ب تثبيت أركان الدولة ظل المسجد مهتماً حتى أمر الخليفة أبوجعفر المنصور سنة ١٥٤هـ/٧٧١م بتجديد المسجد فهدم وأعيد البناء

وخلعت صفائح الذهب والفضة التي كانت على الأبواب لتضرب دنانير ودرهم لينفق منها على تجديده، وفي عهد الخليفة المهدي العباسي ١٦٣هـ/٧٨٠م أدخلت بالمسجد عمارة هامة حيث أمر معماره بإنقاص طوله وزيادة عرضه وقد وصف المقدسي تخطيط المسجد في زمن الخليفة المهدي على النحو التالي: (يتكون من رواق أوسط كبير يقوم على أعمدة من الرخام ويمتد من الشمال إلى الجنوب ويغطيه جملون عظيم ينتهي في الجنوب بقبة عظيمة ويكتنف الرواق الأوسط من كل من جانب سبعة أروقة موازية له وأقل ارتفاعاً منه محمولة على عقود جميعها على أعمدة أسطوانية ويتوسط الواجهة الشمالية باب كبير كان يسمى باب النحاس الأعظم وهو يؤدي إلى الرواق الأوسط رأساً وعلى كل من يمينه ويساره سبعة أبواب تؤدي كل منها إلى رواق من الأروقة الجانبية المتقدم ذكرها في شرقي المسجد أحد عشر باباً دون تزيين والسقوف كلها مستورة).

من خلال الوصف السابق يتضح أن المسجد الأقصى كان يشغل أواخر القرن الثاني الهجري مستطيل فسيح طول جدار القبلة فيه حوالي ١٠٠م وطول جوفه ٧٠م وأنه كان به ١١ أسكوب تجتاز خمسة عشرة بلاطة أوسعها وأكثرها ارتفاعاً البلاطة الوسطى المحمولة على بائنتين من العقود المدببة تعلو العقود فتحات معقودة فتحتين فوق كل عقد يعلوها صف آخر من النوافذ لتزيد من إضاءة البلاطة الوسطى أما بوائك البلاطات فتتكون من صف من العقود محمولة على أعمدة أسطوانية من الرخام يعلو العقود لتخفيف الحمل على العقود ويعلو المحراب قبة عظيمة من الخشب محمولة على عقود ترتكز على ثمان دعائم وكان للمسجد ١١ باب مفتوحة في الجدار الشرقي و ١٥ باب في الجدار الشمالي كل باب منها أمام بلاطة من البلاطات فتكون بذلك هي جملة الأبواب التي ذكرها المقدسي وعددها ٢٦ باب.

في العصر الفاطمي:



تعرض المسجد لزلزال كبير عام ٤٢٥هـ ١٠٢٣م مما جعل الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله سنة ٤٠٦هـ/١٠١٦م، وظل مهتماً حتى سنة ٤٤٧هـ/١٠٦٥م عندما أمر الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله بتجديده، ولم يغير من تخطيطه شيء من الداخل سوى تضيقه من الشرق والغرب وذلك بهدم أربع بلاطات من كل جانب فأصبح المسجد يتكون من

بلاطة وسطى وثلاث بلاطات شرقية وثلاث غربية كما شمل التجديد الفاطمي كل من القبة والأبواب وقد شمل هذا التجديد بالخط الكوفي على العقود الحاملة للقبة والأبواب ونصه (بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله جدد عمارة المسجد الأقصى سيد الأنعام الأمير علي

أبو الحسن الإمام الظاهر لإعزاز دين الله أمير المؤمنين ابن الإمام الحاكم بأمر الله صلوات الله عليهم وعلى آبائهم الظاهرين وأبنائهم الأكرمين على يد أبي محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن أتابه الله تولى ذلك الشريف أبي القاسم بن أبي الحسن الحسين وذلك عام سبع وأربعين وأربعمائه أعانه الله) وقد ظل المسجد على تخطيطه هذا منذ العصر الفاطمي حتى اليوم رغم التجديدات التي حدثت له فالمسجد الحالي هو المسجد الذي بناه الخليفة الفاطمي الظاهر، كما قام الخليفة المستنصر بن الظاهر بترميم بعض جدرانه وأعمدته سنة ٤٤٨هـ/١٠٦٦م.

زمن الصليبيين والعصر الأيوبي:

عندما احتل الصليبيون بيت المقدس سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م استعملوا المسجد الأقصى مسكناً للفرسان كما اتخذ جانباً منه كنيسة واستعملوا طابقه الأرضي المغطى بأقبية إسطبلات للدواب، وأضافوا إليه من الناحية الغربية على طول الحرم القبلي صف مزدوج من القناطر المعقودة اتخذوها مستودعاً لأسلحتهم. وعندما أسترده صلاح الدين بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ أمر بتجديد المسجد، وأول ما جدد فيه المحراب وزينه بالفسيفساء وقد سجل صلاح الدين هذه التجديدات في نص يقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذي هو على النقوى مؤسس عبد الله ووليه يوسف بن أيوب أبوالمظفر الملك الناصر صلاح الدين والدنيا في سنة ٥٨٧هـ) كما أمر صلاح الدين بوضع المنبر الذي صنعه نور الدين محمود زنكي لجامع القلعة بحلب المصنوع من الخشب والمرصع بالعاج وهو من أجمل المنابر الأثرية كما ألحق بالمسجد الأقصى في العصر الأيوبي كثير من الإصلاحات والتجديدات على أيدي سلاطين بني أيوب.

في عهد المماليك:

توالى أعمال الإصلاح والتجديد للمسجد في عهد المماليك ففي زمن السلطان المنصور قلاوون ٦٨٦هـ جدد سقف المسجد وفي زمن الناصر محمد بن قلاوون جددت قبة المسجد وقد سجل هذا التجديد بالخط الثلث المملوكي على إزار القبة الذي يقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم جددت هذه القبة المباركة في أيام مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل المجاهد الرابط المठाغر المؤيد المنصور قاهر الخوارج المتمردين محي العدل في العالمين سلطان الإسلام والمسلمين ابن الشهيد الملك المنصور قلاوون الصالح تغمده الله برحمته في شهر سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م) كما ألحقت به عدة تجديدات في العصر المملوكي الجركسي في عهد السلطان قايتباي.

التخطيط المعماري للمسجد:

سبق وإن أوضحنا أن عدد البلاطات تغير في العصر الفاطمي حيث أصبحت سبع بلاطات بدلاً من ١٥ بلاطة وقد ظل المسجد على هذا التخطيط حتى اليوم ولم يحدث له أي تغيير إلا بعض التجديدات السابقة الذكر وعلى ذلك فإن المسجد الأقصى يشغل مساحة مستطيلة طولها من الشرق إلى الغرب ٨٥م وفي الشمال إلى الجنوب ٥٥م قسمت من الداخل إلى سبع بلاطات أكبرها أتساعاً وارتفاعاً البلاطة الوسطى وقد جاء التقسيم للبلاطات من خلال ست بوائك حجرية تسير في اتجاه عمودي على جدار القبلة وقد حملت تلك البوائك على أعمدة وتيجان رخامية كما ربط المعمار بين كل بائكة بأوتاد خشبية ويعلوفتحات البوائك صف من الفتحات المعقودة وظيفتها تخفيف الأحمال على العقود والأعمدة ويتقدم المحراب من أعلى قبة عظيمة مكونة من مستويين: الأول: وهو الداخلي وهورقيق ومزخرف بفصوص من الفسيفساء الجميلة، والثاني: وهو الخارجي مصنوع من ألواح خشبية قوية.

وترتفع القبة عن الأرض ٢٧م تقوم على ١٢ عمود ثلاثة في كل ركن من أركان المربع أما سقف المسجد فمغطى بالخشب على هيئة جملون شبيه بجملون المسجد الأموي بدمشق ويتقدم البلاطة الوسطى أربع دعائم ثم تعلوها قبة صغيرة أضيفت في العهد المملوكي.

المحراب والمنبر:

يوجد تحت القبة محراب كبير عبارة عن دخلة معقودة محمولة على أعمدة وكان هذا المحراب يسمى محراب داود ثم عرف بعد ذلك بمحراب عمر وقد جدد هذا المحراب الناصر صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣هـ ومزخرف بالفسيفساء.

وعلى يمين المحراب منبر مصنوع من الخشب المحفور والمطعم بالعاج والأبنوس وقد صنع هذا المنبر بأمر من نور الدين محمود لجامعه في قلعة حلب ونقله صلاح الدين للمسجد الأقصى.

دكة المبلغ والمقصورة:

للمسجد دكة للمبلغ تعرف بدكة المؤذنين ارتفاعها ثلاثة أمتار وهي قائمة على ١٤ عمود من الرخام، وله أيضاً مقصورة مصنوعة من الحديد ملاصقة لجدار القبلة تحيط بمحراب معاوية.

جامع عمر ومسجد النساء:

يوجد داخل المسجد عند زاويته الجنوبية الشرقية جامع متصل به مستطيل الشكل تتقدمه واجهة معقودة وبه محراباً صغيراً ترتكز طاقيته على أربعة أعمدة يعرف بجامع عمر، وفي الجانب الغربي من المسجد الأقصى يوجد مسجد صغير يعرف بجامع النساء وهومن ضمن العمارة الفاطمية.

أبواب المسجد ونوافذه:

للمسجد الأقصى ١١ باب موزعة بواقع ٧ بالجدار الشمالي يفتح كل واحد منها على بلاطة ثم باب شرقي وباب غربي، ويكتنف جامع النساء باب آخر - أي في الجهة الغربية - كما يوجد باب في الجانب القبلي يفتح على المقصورة وكان مخصصاً لدخول الوالي والأمير، كما يحتوي المسجد على ١٣٧ نافذة منها ٧ في رقبة القبة وهي كبيرة مغطاة بستائر من الجص المعشق بالزجاج الملون.

الخانقاه:

وصفه صاحب التاج أنه (بناء عجيب وأتقن من المسجد الذي فوقه وأنه من داخل الخانقاه الصلاحية المجاورة لمقصورة سليمان والمكان في غاية النور لما عمل لهم المناور والطاقات المحكمة وهي عبارة عن رواقين عقودها محمولة على عمد من الصوان وأركان البناء) وعلى هذا يوضح النص أنه بأسفل المسجد الأقصى مساحة متصلة قسمت بواسطة صفوف من البوائك المحمولة على أعمدة ثم إلى عدة بلاطات وقد عرفها أكثر من المؤرخين بأنها المسجد الأقصى القديم.

٢- مسجد البصرة:

فتح المسلمون إقليم البصرة سنة ١٤هـ وكان أول شيء فعله المسلمون هوشيد مدينة ومسجد للمسلمين حيث كانت رسائل الخلفاء وخاصة الخليفة عمر بن الخطاب إلى ولاتهم أن يشيدوا المساجد وألا يجعلوا بينهم وبين دار الخلافة بحراً.

وقد كان تأسيس البصرة كمعسكر حربي سنة ١٤هـ بعد أن قام عتبة بن غزوان بتحرير مساحة واسعة من جنوب العراق، وقبل أن يؤسس المدينة بعث برسالة إلى عمر بن الخطاب موضحاً له حاجة المسلمين لموضع يستقرون فيه "لا بد للمسلمين من منزل يشنون به إذا شتوا ويسكنون به إذا انصرفوا من غزوهم"، فكتب إليه عمر قائلاً "اجمع أصحابك في موضع واحد وليكن قريباً من الماء والمرعى وأكتب لي بصفته"

ومن الرسائلتين يتبين أن اختيار موقع المدينة تم على أسس محددة هي: أن يكون قريباً من الماء، أن يكون

قريباً من المرعى، وأن يكون طيب الهواء قليل الأوبئة.

وعلى الرغم من أن عمر قد أشار إلى صفة المكان المناسب للمدينة إلا أنه لم يطمئن بل طلب من عتبة أن يخبره بصفته بعد اختياره ولم يأذن له بالبناء مباشرة فكان رد عتبة "أني وجدت أرض كبيرة كثيرة القصب من طرف البر للريف دونها منافع ماء فيها قصب"

فأمره عمر باتخاذها موقعاً للمدينة قائلاً: "أن أنزلها" وهذا يعني أن مواصفات عمر موجودة وهي توفر الماء والمرعى والهواء الجيد، وكذلك توفر مادة البناء وهي القصب فكان الإذن من عمر ببناء المدينة.

بعد وصول أمر البناء قام عتبة بإنزال الجيش في المكان المحدد واختط المسجد في وسط المدينة ليكون جامعاً للصلاة وبجواره اختط دار الإمارة، وخطت شوارعها فجعل شارعها الأعظم ستين ذراعاً وعرض ما سواه عشرين ذراعاً، وعرض كل زقاق سبعة أذرع، وجعل وسط كل خطة رحبة واسعة لمربط خيلهم وقبور موتاهم، وحول المسجد ودار الإمارة أقطعت القبائل خططها وتركت حرية تقسيم الخطط للقبائل التي اختطت منازلها بنفسها، وبنيت المنازل والمرافق والمسجد أول الأمر بالقصب المتوفر في المكان حيث كان القصب يجمع ويخزن عندما يتقدم الجيش للغزو وعند عودتهم من الغزو يعيدون بناء منازلهم ومرافقه به.

وظلت المدينة على حالها إلى أن تولى إمارة البصرة أبو موسى الأشعري سنة ١٦هـ حيث كان سكان المدينة قد ازداد مع زيادة المهاجرين إليها، فشرع أبو موسى بعد أن استأذن الخليفة عمر بإعادة بناء المدينة من الطين واللبن لأن القصب يسبب حرائق فأوصاه الخليفة أن يتبع في بنائها الشروط التالية:

- أن يكون عرض الشوارع الرئيس ٤٠ ذراع والطريق الفرعي ٢٠ ذراع والأزقة ٧ أذرع.
- أن تكون منازل الناس متلاصقة.
- ألا يرتفع البناء عن طابق واحد حتى لا يكشف الجار عورة جاره.
- أن يتوسط كل دار رحبة واسعة لتكون متنفساً للأسرة.
- أن تخط خطط القبائل حول البصرة لكل قبيلة خطة، حتى تكون أدعى للدفاع عن نفسها والبعد عن الصراعات والحمية القبلية.

فقام أبو موسى ببناء المسجد ودار الإمارة باللبن والطين وأمر الناس بالبناء في الخطط التي صرفت لهم، وعمل على تزويد المدينة بالماء الصالح للشرب لا، المياه التي كانت تصلها سابقاً كانت مالحة، حيث بدأ بحفر عدد من الأنهار المتفرع عن نهري دجلة والفرات وأهمها نهر الأبله وأتمه الوالي الجديد عبد الله بن عامر فيما بين ٢٥-٣٦هـ، كما عمل ابن عامر على تطوير البصرة من خلال تشجيع العمران ومنح الاقطاعات للأشخاص لزيادة الإنتاج واتخاذ الأسواق وتأسيسها بالمدينة، حيث قام بشراء عدد من الدور وسط المدينة وهدمها وبنا مكانها سوقاً.

ومرت البصرة بمرحلة تالية من التطور في عهد زياد بن أبيه الذي كان أول من بنا بها بالآجر والجص فأعاد بناء المسجد ودار الإمارة بهاتين المادتين وأعاد تنظيم المدينة وتقسيماتها الطبوغرافية والسكنية فقسمها إلى خمسة أخماس ضم كل خمس مجموعة من العشائر التي تنتمي إلى قبيلة واحدة ويرأس كل خمس رئيس القبيلة، مما سهل من إدارة المدينة وسهولة استنفار الجند.

كما شجع زياد على تأسيس السواق ومنها سوق أم الرزق وتتكون من مبنى واسع ذي أربعة أبواب وتحتوي على نشاطات اقتصادية متعددة، كما بنا عدداً من المنشآت العامة كالحمام والمربعات والمحلات.

وتكشف هذه المراحل من التطور أن مدينة البصرة تحولت خلال هذه المراحل من مجرد معسكر حربي إلى مدينة ذات معايير مدنية واضحة تمثلت فيها الحياة العربية، وارتبطت بما حولها بحيث أصبحت مركزاً إدارياً ضمت إليه البحرين والمناطق المفتوحة من بلاد فارس.

تأسيس المسجد:

بني مسجد البصرة على عدة مراحل:

المرحلة الأولى:



قام عتبة بن غزوان أثناء بناء المدينة وتخطيطها باختيار موضع المسجد في وسط المدينة، ومن ثم بنائه بالمادة نفسها التي بنيت منها المدينة وهي مادة القصب سنة ١٤ هـ ويقال أنه تولى اختاظه بيده، وأن كان البلاذري في كتابه فتوح البلدان يعتقد بأن الذي اختط مسجد البصرة لم يكن عتبة بن غزوان وإنما كان الاختطاط الأول على يد محجر بن الأذرع حيث يقول البلاذري بأن "محجر بن الأذرع اختط مسجد البصرة ولم يبنه فكان يصلي فيه من غير مبنى" بمعنى أن المسجد الأول كان عبارة عن ساحة مكشوفة غير محددة وبلا جدران أو سقف، ثم قام عتبة بعد ذلك بعمل حائط المسجد من القصب، وكانوا إذ ذهبوا للغزومعوا القصب وخزنوها وعندما يعودون ينصبونها مرة أخرى، وفي ذلك يقول البلاذري (فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب وخزنوه ووضعوه حتى يرجعوا من الغزو فإذا رجعوا أعادوا بنائه فلم تزل الحالة كذلك).

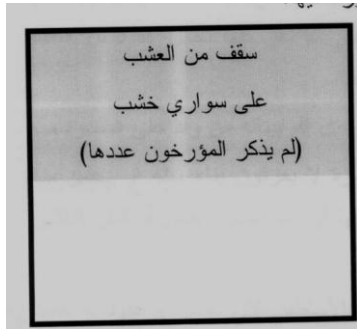
إذن عرفنا أن أول مراحل بناء المسجد كانت تنقسم إلى قسمين:

- ساحة مكشوفة دون جدران أو سقف وهي من عمل محجر بن الأذرع.

- إحاطة المساحة المكشوفة بحائط من القصب يطوف بالمسجد دون سقف

والمسجد بهذا الشكل بنى على طراز مسجد الرسول ﷺ الذي كان أول أمره عبارة عن جدران من اللبن دون سقف وهذا يدلنا على إقتداء الصحابة برسول الله ﷺ عملاً بقوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) فكان الإقتداء بالرسول في بناء مسجده والذي كان له أثر بالغ في بناء مساجد الأمصار الإسلامية كالبصرة والكوفة والفسطاط... إلخ وربما كان مضللاً بالقصب حيث كان مسجد الرسول مضللاً في هذه الفترة.

المرحلة الثانية:

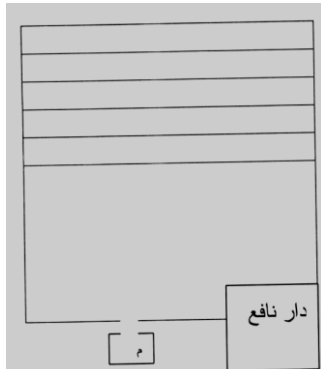


عندما تولى أبو موسى الأشعري ١٦ هـ ثبت بناء المسجد بأساس متين وبناء جدرانه ببناء لا ينزع حيث يقول البلاذري (ثم إن الناس اختطوا وبنوا المنازل وبنا أبو موسى الأشعري المسجد ودار الإمارة بلبن وطين وسقفها من العشب وزاد فيها).

وهنا تغيرت مادة البناء بمادة أقوى: من القصب إلى اللبن والطين المتوفر في المكان نفسه وسقفت من العشب ونلاحظ هنا الإقتداء الكامل

بمواد وتخطيط مسجد الرسول ﷺ من حيث مادة البناء ومادة التسقيف التي هي من العشب بدلاً من سقف النخيل وبالإضافة أيضاً.

المرحلة الثالثة:



ظل المسجد على حاله كما بناه أبو موسى الأشعري إلى أن ولي زياد بن أبيه البصرة من قبل الخليفة معاوية حيث يذكر البلاذري أن زياد (زاد في بناء المسجد زيادة كبيرة وبناه بالأجر والجص وسقفه بالساج وجعل لصفته المقدمة خمس سوارى وبنا منارته بالحجارة وقد أتى بسواريه من جبل الأهواز، وجعل زياد حين بنا المسجد ودار الإمارة يطوف بهما وينظر إلى البناء ثم يقول لمن معه

من وجوه أهل البصرة أتررون خلاً فيقولون ما نعلم بناءً أحكم منه فقال بلى هذه الأساطين التي على كل واحدة منها أربعة عقود لوكانت أغلظ من سائر الأساطين).

وهناك عدة ملاحظات هامة على هذا النص يجب ألا نغفلها ومنها:

الأولى: أن زياد قام بتغيير مادة البناء من اللبن والطين والعشب إلى مادة أقوى وأصلب وهي الحجر والجص وخشب الساج كما قام بزيادة المقدم حيث جعلها ٥ سوارى (والمقصود هنا خمس بوائك) وبنى المنارة بالحجارة وأحضر سواريه من جبل الأهواز وكانت مغطاة بطبقة من الجص مثله مثل سوارى المسجد النبوي كما فرش به بالحصى.

الثانية: ذكر بناء زياد للمئذنة أيام معاوية أي سنة ٤٤ هـ وهو الذكر الأول لبناء المنارة بعد ذكر المطمار في مسجد النبي ﷺ، ونستنتج من النص أن المنارات كانت موجودة قبل عهد الوليد بن عبد الملك الذي نسب إليه المستشرقون إنشاء المآذن في المسجد الأموي التي يعدونها أولى المآذن في الإسلام وأنها متأثرة أو كانت بالأصح أبراج المعبد الوثني والمسيحي الذي حل محله المسجد، مما يعني أن المآذن الإسلامية بعد ذلك متأثرة بأبراج أومآذن المسجد الأموي، مما يعني أنها تأثرت بمسيحي على العمارة الإسلامية.

الثالثة: أن أعمدة المسجد لم يأخذها من المباني القديمة وإنما اقتطعها من جبل الأهواز.

الرابعة: ذكر استخدام العقود لأول مرة في العمارة الإسلامية حيث نستنتج من هذا النص أن زياد بنا المسجد بأساطين تحمل أربعة عقود وأساطين تحمل أقل م أربعة عقود.

الخامسة: أن البناء كان محكماً وإنما كان به خلل يتمثل في ضعف الأعمدة التي تحمل أربعة عقود وتبنى زياد لوكانت أغلظ وأسمك وأفخم من بقية الأساطين لأن الحمل عليها كبير.

المرحلة الرابعة:

يذكر المؤرخون أن مسجد البصرة لم يكن منتظم الشكل فقد كان جانبه الشمالي منزوياً حيث كانت هناك دارا لنافع بن الحارث بن كلده الذي أبى أن يبيعها لأنها أقدم دار بنيت في البصرة فلما ولي عبد الله بن زياد اغتتم فرصة غياب نافع بن الحارث وبعث الفعلة فهدموا تلك الدار وسوى بها تربية المسجد وقدم نافع فضج إليه بذلك فأرضاه عبيد الله بأن أعطاه بكل ذراع خمسة أذرع وفتح له في حائط المسجد خوخة إلى داره.

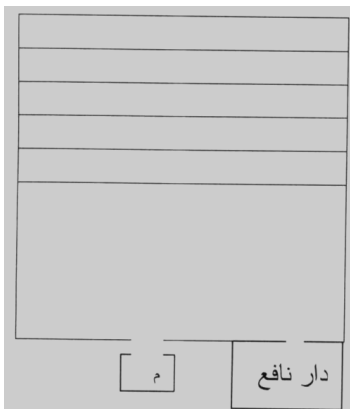
كما أن زياد قام ببناء مقصورة المسجد وهو أول من بناها في المسجد.

منارة المسجد:

يذكر ابن سعد في الطبقات أن الحسن البصري كان يقعد على المنارة العتيقة في مؤخرة المسجد، وهذا النص يحدد لنا موقع المنارة بأنها في مؤخرة المسجد لكن أين موقعها في مؤخرة المسجد؟ شرق المؤخرة أم وسطها أم غربها أم داخل المؤخرة أم خارجها؟

وبمقارنة موقع المئذنة مع مواقع المآذن العراقية في المساجد الأول مثل مسجد سامراء وأبي دلف وغيره كالكوكة أيضاً يعتقد أن المئذنة كانت خارج المسجد ولم تكن داخله وأنها كانت في منتصف ضلع المؤخر من الخارج حيث نجد أن مساجد العراق التالية لمسجد البصرة قد تأثرت ببناء مسجد البصرة وهو أقدم مسجد في العراق مما يعني انتقال طراز المئذنة وموقعها إلى بقية مساجد العراق.

كما أننا نستدل على أن المئذنة كانت منفصلة عن المسجد بما ذكره المؤرخون من أن المئذنة كانت ذات ارتفاع شاهق مما كان يصعب على المؤذن صعودها خمس مرات في اليوم على رجليه لذلك كان المؤذن يصعد



إليها راكباً دابة تسير على سلم صاعد يدور بالمتنزة من الخارج حيث نجد هذا في مسجد سامرا وأبي دلف في العراق وابن طولون في مصر والكتيبة في مراكش وغيرها من مآذن المغرب العربي. ولكي تحفظ حرمة المسجد من دخول الدابة حتى لا تتجسه فقد بنيت المتنزة خارج المسجد، كما أننا من وصفه للمتنزة بأنها " العتيقة " نستدل على وجود متنزة أخرى جديدة.

المرحلة الخامسة:

قام المهدي العباسي بزيادة المسجد وكذلك ابنه هارون الرشيد حيث أدخلت الدور المحيطة بالمسجد ودار الإمارة كما يذكر ابن بطوطة أنه كان بالمسجد أربع صوامع.

٣- مسجد الكوفة:

كانت الكوفة ثاني مدينة أحدثت في الإسلام خارج المدينة المنورة بعد مدينة البصرة، وقد تم تأسيسها كمعسكر حربي على يد سعد بن أبي وقاص سنة ١٧هـ، بعد موافقة الخليفة عمر رضي الله عنه على تأسيسها، ووفقاً لتوجيهاته التخطيطية التي حددت اتساع شارعها الرئيسي بأربعين ذراعاً والشوارع الفرعية بأربعين ذراعاً، والشوارع التي تليها بعشرين ذراعاً، وحدد اتساع الأزقة والسكك الفرعية بسبعة أذرع، ومنحت القطاعات للقبائل وفقاً لما أقره أهل الرأي مثلها في ذلك مثل مدينة البصرة، وأنشئ المسجد في وسط المدينة وبجواره دار الإمارة ومنهما امتدت الشوارع في مختلف الاتجاهات خمسة منها شمالية وأربعة جنوبية وثلاثة شرقية وثلاثة غربية، وكانت الشوارع الثانوية تسير موازية للشوارع الرئيسية وأحياناً متقابلة معها، وفيما بين هذه الشوارع وزعت الخطوط على القبائل وكل قبيلة تقوم بتوزيع قطع الأراضي على أفرادها.

والى جانب المسجد ودار الإمارة حدد موقع السوق الرئيسي للمدينة وكان عبارة عن ساحة فضاء ليس فيها مبان أو سقف اللهم ظلل عملت لتظل البائعين كما هو الحال في سوق المدينة المنورة، واستمرت السوق على هذا الحال حتى عهد هشام بن عبد الملك ١٠٥-١٢٥هـ عندما قام عامله على الكوفة خالد بن عبد الله القسري بإنشاء الأسواق على هيئة معمارية جديدة تشتمل على حوانيت سفلية ومساكن علوية للسكنى.

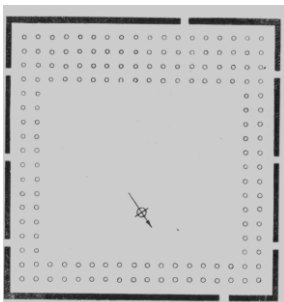
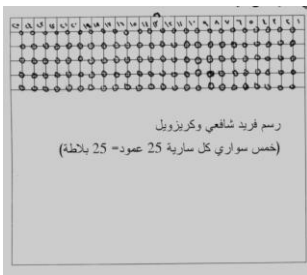
مما سبق يتضح أن تخطيط الكوفة سار على النهج الذي سار عليه تخطيط البصرة التي سارت بدورها على النهج الذي سار عليه رسول الله ﷺ في تخطيطه للمدينة المنورة.

تأسيس المسجد:

بناه سعد بن أبي وقاص سنة ١٥هـ وقيل ١٧هـ واختط المسجد وحددت مساحته بأن وقف رامي السهام في الوسط وأطلق السهام في الاتجاهات الأربعة وحيثما سقطت اختط الحد من الجهات الأربع، وقد بني بشكل مربع وعمل له ظلة في المقدمة مثل مسجد الرسول ﷺ بالمدينة وليس له مجنبات ولا مؤخرة وأحيط به خندق وكان طول المسجد ٢٠٠ ذراع وكانت سواريه من الرخام والأحجار التي جلبت من جبل الأهواز.

وقد رسمه أحمد فكري دون تحديد لعدد أعمدته في كل بائكة، فيم رسمه فريد شافعي مكوناً من خمس سوارى (بوائك) في كل سارية ٢٤ عمود وله ١٥ باب ٤ قبلية و ٣ شرقيه و ٣ غربية و ٥ شمالية.

وقد خضع تخطيط المسجد للعوامل الجغرافية والسياسية والاقتصادية وتنفيذ أوامر الخليفة في اختيار موقع المدينة من حيث توفر الماء والمرعي وتوفر مادة البناء. وهناك علاقة كبيرة بين تخطيط المسجد في الكوفة والمسجد في البصرة. ومسجد



الرسول ﷺ في المدينة من حيث بناء الظلات في القبلة دون بقية الجهات وارتكاز السقف على سواري خشبية ثم المادة الحجرية أو الرخامية في الزيادة التالية.

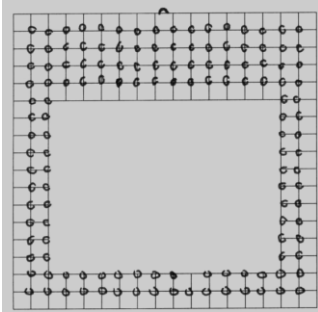
توسعة زياد بن أبيه:

وسع المسجد في عهد المغيرة بن شعبة وقيل وسعه زياد بن أبيه سنة ٥١هـ وقيل سنة ٥٥هـ، حيث يروى عن زياد قوله "انفقت على كل أسطوانة من أساطين مسجد الكوفة ثمانى عشر مئة"، وقد شيدت جدرانه من الآجر فيما بنيت روافعه بالأعمدة المستديرة المصنوعة من صم الحجر المنحوتة قطعة قطعة مفرغة بالرصااص ولا قسي عليها، وقد جلبت هذه الأحجار من جبل الأهواز وكان ارتفاع الأعمدة ٣٠ ذراعاً لذلك لم يحتج إلى عقود لارتفاع الأعمدة الشاهق وفي ذلك يقول الرحالة ابن جبير " ما رأيت في الأرض مسجداً أطول منه أعمدة ولا أعلى سقفا"، وقد تمثل بناء زياد للمسجد بعمل ظلات جانبية وظلة خلفية بكل منها بائكتان من الأعمدة. ويذكر فكري أن الأعمدة ثبتت بأوتاد من الحديد وبذلك تكاملت الظلات الأربع للمسجد بحيث احتوت ظلة القبلة على ٥ بوائك، تضم ٥ أساكيب تتقاطع معها ١٩ بلاطة مما يعني أن كل بائكة تضم ١٨ عمود، فيما احتوت الظلات على بائكتين.

ونلاحظ هنا أن بناء المسجد في الكوفة مشابه تماماً من حيث التخطيط ومواد البناء لمسجد البصرة الذي بناه زياد بن أبيه أيضاً.

وقد كشفت الحفريات أن مساحة المسجد مربعة الشكل طول جدار القبلة ١١٠م والمؤخر ١٠٩م وكل من الشرقي والغربي ١١٦م وهذه المساحة هي مقاربة إلى حد كبير لمساحة مسجد الفسطاط في عهد عبد الله بن طاهر وربما كان هناك مئذنة للمسجد شبيهة بالتي بناها زياد في مسجد البصرة وكذا المقصورة..

تخطيط المسجد :



قام كريزول بعمل محاولة لرسم تخطيط المسجد، حيث عمل له تخطيطين: الأول مشابه لرسم فريد شافعي بحيث قسم مقدم المسجد إلى ٢٥ بلاطة، وفي التخطيط الثاني قسم مقدم إلى ١٧ بلاطة، مما يعني أن كل بائكة تحتوي على ١٦ عمود

وكان المسجد يتسع لـ ٤٠٠٠٠ ألف مصلي حيث أن عمرو بن الخطاب كتب إلى سعد أن اختط موضع المسجد الجامع على عدة مقاتليكم فخطه لعدد ٤٠٠٠٠ ألفاً فلما قدم زياد بن أبيه زاد فيه لعدد ٢٠٠٠٠ ألفاً وقد أخطأ كريزول بأن مد الضلعين الشرقي والغربي نحو الشمال. وقد تابع فريد شافعي كريزول في تخطيطه حيث جعله بنفس رسم كريزول. أما فكري فقسم المسجد إلى ١٩ بلاطة ولذا كان فكري أكثر توفيقاً من كريزول في تخطيط المسجد.

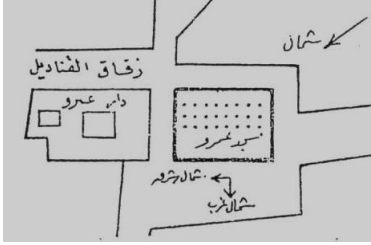
٤- مسجد عمرو بن العاص:

فتح عمرو بن العاص مصر سنة ٢٠هـ/٦٤١م وأول عمل قام به هو إنشاء مدينة الفسطاط بأمر من الخليفة بأن ينشئ له مدينة ليس بينها وبين دار الخلافة بحراً شأنها في ذلك شأن المدن الإسلامية التي أنشئت في هذه الفترة. وحتى لا يكون النيل وفيضانه حاجزاً بين المدينة ودار الخلافة فقد بناها عمرو قرب قصر الشمع على شاطئ النيل الشرقي عند رأس الدلتا لتكون في مأمن من هجمات العدو وقربها من الأرض الزراعية والحماية الطبيعية متوفرة حيث النيل يحميها من الغرب والمقطم من الشرق والجنوب ومن الشمال الصحراء وقد اختطت سنة ٢١هـ وتقاسمت القبائل خططها وسميت كل خطة باسم القبيلة التي اختطتها مثل خطة مهرة وخطة غافق

وخطة يحصب... إلخ.

أما تسميتها بالفسطاط فقبل أنها مشتقة من فسطاط عمرو أي خيمته وقيل من كلمة فساط وفسطاطوم اليونانية وهواسم لمكان بجوار المدينة لكن كلمة فسطاط موجودة في اللغة العربية وتطلق على الخيمة. يعد جامع عمرو أول بناء أقيم في الفسطاط وكان يسمى الجامع العتيق ومسجد الراية ومسجد النصر وتاج المساجد.. الخ وكان مشرفاً على النيل الذي كان يمر بجواره مباشرة قبل أن يتغير مجراه، وبناء عمرو بن العاص بجانب دار الإمارة.

مساحته:

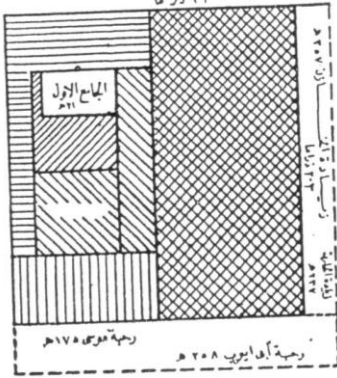


أول ما بني كانت مساحته ٣٠×٥٠ ذراع وسقفه من الجريد وعمده من جذوع النخل وأرضه مفروشة بالحصباء على غرار مسجد رسول الله ﷺ في المدينة ومسجد البصرة ومسجد الكوفة من حيث بساطته في التخطيط والمواد المستخدمة حيث لم يكن له صحن متسع ولا رحبة بل كان له صحن صغير، وقد اشترك في تحديد قبلته جمع من الصحابة وكان للمسجد الأول بابان شماليان وبابان غربيان وبابان شرقيان يقابلان دار عمرو ويحيط بالمسجد من جهاته الأربع طريق اتساعه سبعة أذرع ٣٠،٥ م مثله مثل مسجد الرسول ﷺ، وكان الناس يجلسون صيفاً في فناءه حيث كانت له ظلة واحدة شأنه في ذلك شأن مسجد الرسول ﷺ ومسجد البصرة ومسجد الكوفة وغيره من المساجد الأولى.

وعمل عمرو منبراً للخطابة لكن عمر بن الخطاب ﷺ أمر بإزالته ويقال أنه أعادة بعد موت عمر ﷺ، ولم يكن للمسجد محراب مجوف بل إشارة أوقطعة خشب تدل على القبلة موضوعة في جدار القبلة وأول من عمل له محراب جوف هو قرة بن شريك في العصر الأموي إقتداء بالمحراب المجوف الذي صنعه عمر بن عبد العزيز لمسجد الرسول بالمدينة.

مراحل زيادات المسجد:

أولاً في عصر الدولة الأموية:



في عهد معاوية: قام مسلمة بن مخلد والي مصر أيام معاوية بزيادة المسجد سنة ٦٧٢م من الناحية الشرقية مما يلي دار عمرو حيث التصقت دار عمرو بالمسجد وهوبذلك يشبه زيادة الرسول في مسجده عندما التصقت حجراته بالمسجد، ومن الناحية الشمالية حيث جعلها رحبة واسعة ولم

يغير في بنائه القديم كما قام بعمل أربع مآذن للمسجد في كل ركن مآذنه وأمر ببناء المنار في كل مساجد مصر وهذه المئذنة هي المعاصرة للمئذنة التي عملت في مسجد البصرة في عهد زياد بن أبيه سنة ٤٤ هـ وجعل الوصول إلى المئذنة على مراقي خارج الجامع مما يدلنا على أن المؤذن كان يصعد عليها راكباً دابة فلو كان يصعد إليها راجلاً لكان مدخلها من داخل المسجد لكنه جعلها من الخارج حتى لا تتجس الدابة المسجد مثله في ذلك مثل مسجد البصرة وأحمد بن طولون بعد ذلك كما قام بتبييض المسجد بالنورة وزخرف جدرانه وسقفه وفرش الجامع بالحصير.

في عهد الوليد بن عبد الملك: قام عبد العزيز بن مروان والي مصر بزيادة المسجد سنة ٧٩ هـ حيث هدم المسجد الأول لأنه ضاق بالمصلين وأدخل فيه الرحبة الشمالية التي زادها مسلمة بن مخلد ولم يزد فيه من الناحية الشرقية حيث مثلت دار الإمارة (دار عمرو) ودار ولده عبد الله عائناً من الزيادة في هذه الجهة كما كانت حجرات الرسول ﷺ عائناً لزيادة المسجد النبوي من الجهة الشرقية كما قام بزيادته من الناحية الغربية،

وفي سنة ٨٩هـ قام عبد الله بن عبد الملك والي مصر برفع سقوف المسجد.

وفي سنة ٩٢-٩٣هـ قام قرّة ابن شريك بهدم المسجد كله وإعادة بنائه وزيادته، حيث قام لأول مرة بزيادته من ناحية القبلة وللمرة الثانية من الناحية الشرقية فأدخل فيها دار عمرو وابنه عبد الله بينما وقفت الزيادات السابقة عند حدود هذه الدار كما أدخل فيه الشارع وهذه الزيادة تمت في الفترة نفسها التي قام بها عمر بن عبد العزيز بهدم مسجد الرسول ﷺ وحجراته وتوسعته أي أن ما يحدث لمسجد الرسول ﷺ من توسعات تحدث لبقية المساجد ففي المسجد النبوي هدمت حجرات الرسول وزيد فيه للمرة الثانية من الشرق، وفي مسجد عمرو هدمت دار عمرو وابنه وزيد للمرة الثانية من الشرق.

كما قام قرّة بعمل محراب مجوف بجدار القبلة في الوقت نفسه الذي قام عمر بن عبد العزيز بعمل محراب مجوف لمسجد الرسول ﷺ بالمدينة وأيضاً عمل له منبر جديد من الخشب سنة ٩٤هـ وقام أيضاً بتذهيب تيجان الأعمدة الأربعة التي تتقدم المحراب لتوضح بصورة أكثر مكان المحراب وأحدث فيه المقصورة تقليداً لمقصورة معاوية في المسجد الأموي ومقصورة عثمان ﷺ في المسجد النبوي كما قام بتصويب اتجاه القبلة. وبدلنا تذهيب التيجان على استخدام الأعمدة الرخامية لأول مرة في مسجد عمرو إلى جانب استخدام التذهيب كأول نوع من الزخرفة في ظلة القبلة مثله مثل المسجد النبوي عندما قام عمر بن عبد العزيز بزخرفته بالجص والفسيفساء.

كما قام قرّة بن شريك بزيادة عدد أبوابه فصارت ١١ باب ٤ في الضلع الشرقي و ٤ في الغربي و ٣ في الشمالي وبهذه الزيادة صار طول جدار القبلة ٥٧،٥م والجدار الشرقي ٩٨م وبزيادة قرّة صارت ظلة القبلة تتكون من ٧ بوائك في كل بائكة ١٣ عمود والمؤخرة ٥ بوائك بكل منها ١١ عمود وفي المجنبتين بائكة واحدة بكل منها ٨ أعمدة وتزيد الشرقية بعمودين على شكل بائكة متعامدة على ظلة القبلة.

وفي عهد سليمان بن عبد الملك سنة ٩٧هـ أضيفت بيت المال فوق الفوارة بالجامع وهوبناء يعلوه قبة في وسط الصحن.

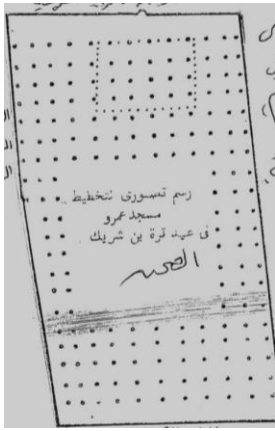
ثانياً في عصر الدولة العباسية:

في سنة ١٣٣هـ قام صالح بن علي والي مصر من قبل الدولة العباسية بزيادة المسجد حيث أضاف أربعة أساكيب في مؤخر المسجد كما قام بزيادة أربعة أساطين في الموضع الذي دخلت فيه دار الزبير للجامع وقام بفتح باب جديد في الضلع الشرقي فصار عددها ٥ أبواب كما عمر مقدم الجامع.

وقام موسى بن عيسى والي مصر سنة ١٧٥هـ بإضافة جزء من الرحبة الشمالية المعروفة برحبة أبي أيوب إلى الجهة الشمالية للمسجد.

وقام عبد الله بن طاهر والي الخليفة العباسي المأمون سنة ٢١٢هـ ببناء أكبر زيادة للمسجد في تاريخه حيث قام بزيادته من الناحية الغربية بمساحة تعادل مساحة المسجد الموجودة في عهده، وقام ابن طاهر بهدم الجدار الفاصل بين البناء القديم والجديد وزيادة عدد الأعمدة وأوصلها بالعقود

وفي سنة ٢٣٧هـ زيد من الناحية الغربية عند الركن الشمالي تعرف بزيادة الحارث، وفي عام ٢٧٥هـ أحرق المسجد فأمر خماروية بن أحمد بن طولون بعمارته وتغيير أكثر أعمدته، وزيادة ثلاث قاعات شمال المسجد إحداها لقاضي القضاة والآخر للقاضي المالكي والثالثة للقاضي الشافعي، وفي سنة ٣٣٦هـ عمر القاضي أبوحفص غرفة للمؤذنين فوق سطح الجامع.



ثالثاً: في العصر الفاطمي:

في سنة ٣٥٧هـ زيد في الجامع من الجهة الغربية في الجزء القبلي تعرف بزيادة الخازن، وفي سنة ٣٧٨هـ أمر الخليفة العزيز بالله الفاطمي بعمل الفوارة تحت قبة بيت المال وعمل السقائف المحيطة وعمل منبر جديد مذهب، وفي سنة ٣٨٧هـ جدد بياض المسجد حيث خلعت أغلب الفسيفساء وبيض مكانها، وفي سنة ٣٦٤هـ أضاف الحاكم بأمر الله الفاطمي رواقان من جهة الصحن جهة القبلة والمؤخر فصارت أروقته ٢٤ بدلاً من ٢٢ رواق واستبدل عمد الخشب بعمد من الرخام فصار للمسجد ٧ أروقة في المقدم و ٧ في المؤخر و ٥ شرقية و ٥ غربية، وفي سنة ٤٣٨هـ عملت منطقة من فضاء في صدر المحراب في عهد الخليفة المنتصر بالله وجعل لعمودي في المحراب أطواق من فضاء، وفي سنة ٤٤١هـ ذهبت بقية الجدار القبلي، وفي سنة ٤٤٢هـ عملت مقصورة من خشب الساج ومحراباً من الساج بعمودين من الصندل وفي نفس العام بنيت غرفة المؤذنين في السطح يطلع إليها من بيت المال، وفي سنة ٤٥٠هـ بنيت المئذنة الواقعة بين مئذنة عرفة والمئذنة الكبيرة والتي محلها القبة القائمة فوق ضريح عبد الله بن عمرو وقد هدمت المئذنة، وفي سنة ٥١٥هـ جددت المئذنة الكبيرة في الواجهة الشمالية.

رابعاً في العصر الأيوبي والمملوكي:

في سنة ٥٦٤هـ حرق المسجد فعمره صلاح الدين سنة ٥٦٨هـ، وفي سنة ٦٦٦هـ قام الظاهر بيبرس بتجديد القواصر العشر المطلة على الصحن من المقدم، وفي سنة ٦٨٧هـ جدد المنصور قلاوون وفي سنة ٧٠٣هـ جدد الأمير سلار وبقي منها الشبائيك الخشبية بالواجهة الغربية، وفي سنة ٧٠٢هـ حدث زلزال فتأثرت جدرانه فقام محمد بن قلاوون بإصلاح المسجد، وفي سنة ٨٠٤هـ هدم برهان الدين المقدم ما بين الصحن والمحراب وأزيل اللوح الأخضر وأعيد بنائه كما كان وعمل لوح أخضر جديد، وجده قايتباي سنة ٨٧٦هـ.

خامساً في العصر العثماني:

في سنة ١٢١٢هـ جدد مراد بك العثماني حيث كانت عمدته قد مالت وسقطت إيواناته فهدم ظلّة القبلة وأعاد بنائها على غير الوضع الصحيح بالنسبة للعقود حيث صارت عمودية على جدار القبلة بعد أن كانت موازية مما أدى إلى سد بعض النوافذ، وفي سنة ١٣٠٠هـ سقطت الإيوانات القبليّة والشماليّة فجددت سنة ١٣١٧هـ على يد دائرة الآثار.

محاريب المسجد:

كان للمسجد ثلاثة محاريب منها الكبير المجاور للمنبر والأوسط ومحارب الخمس صلوات ولم يبق منها سوى محرابان في وسط الجدار الجنوبي وشرقيه، ومحارب رابع آخر الرواق الثاني من الظلة القبليّة نحو الشرق وكان يكتنف كل محراب عمودين مدمجين يحملان عقد مدبب بطاقيّة مدببة ويتوجه عقد مدبب بارز.

المآذن:

كان للمسجد ٥ مآذن: في جدار القبلة مئذنتان هما مئذنة عرفة في الركن الجنوبي الغربي والمئذنة الكبيرة في الركن الجنوبي الشرقي، وفي الجهة الشمالية ٣ مآذن الأولى في الركن الشمالي الشرقي وهي الجديدة والثانية في وسط الجدار تسمى العيديدية والثالثة المستجدة في الركن الشمالي الغربي، أما مئذنة عرفة فكانت موجودة في القرن ٧هـ وأما الجديدة والمستجدة فريما بنيت في القرن ٦هـ، وفي سنة ٥١٥هـ جددت مئذنتا العيديدية والكبيرة.

الوحدة الثالثة: العمارة في العصر الأموي:

تعد الفترة ما بين ٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م - وهي الفترة التي حكمت فيها الدولة الأموية - من أهم الفترات التاريخية في تاريخ الدولة الإسلامية حيث شهدت هذه الفترة ازدهاراً حضارياً في مختلف المجالات ومن أبرزها تعريب الدواوين وسك العملات وتخطيط المدن، كما ازدهرت عمارة المساجد والقصور والحصون وإنشاء الطرق والمرافق العامة والاهتمام بشؤون الزراعة والصناعة والتجارة وتطور الحركة العلمية وفنون المعرفة المختلفة، وفي هذا العصر أعيد بناء كثير من المساجد الأولى في العالم الإسلامي كالمسجد النبوي بالمدينة المنورة ومسجد صنعاء الكبير ومساجد البصرة والكوفة والفسطاط وغيرها.

أ- عمارة المدن:

قام الأمويون ببناء أو إعادة بناء العديد من المدن في الشام وأفريقيا والأندلس، ومنها: دمشق، وواسط، والقيروان،... الخ:

ب- العمارة الدينية:

قام الأمويون بإعادة بناء عدد كبير من المساجد من أهمها على سبيل المثال: المسجد النبوي بالمدينة المنورة ومسجد صنعاء ومسجد ذي يشرق باليمن، ومسجد عمرو بالفسطاط، ومسجدي البصرة والكوفة، كما قاموا ببناء العديد من المساجد في مختلف أمصار ومدن الخلافة.

لقد مثلت العمارة الدينية في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين الأساس الذي سارت عيه العمارة الإسلامية بعد ذلك، فبالرغم من حدوث تطور ملحوظ في عمارة المسجد في العصر الأموي إلا أن جوهر التخطيط الإسلامي للمسجد في العصر النبوي ظل هو النموذج الأمثل لعمارة المسجد في العصر اللاحقة. وقد اتخذت المسجد الأموية أربعة طرز رئيسية هي:

الطرز الأول: التخطيط ذوالصحن والظلات ذات الأساكيب:

يتكون هذا التخطيط من صحن أوسط تحف به أربع ظلات قسمت فيها الظلات إلى أساكيب موازية لجدار القبلة بواسطة بوائك ذات عقود تسير موازية لجدار القبلة، ولهذا الطراز نموذجان هما:

النموذج الأول: المسجد المستطيل الممتد من الشمال إلى الجنوب، تتساوى فيه ظللتا المقدم والمؤخر، كما في تخطيط المسجد النبوي ومسجد صنعاء في العصر الأموي.

النموذج الثاني: المسجد المستطيل الممتد من الشرق إلى الغرب، وتكون فيه ظلة المقدم أكبر عمقاً من بقية الظلات، كما في المسجد الأموي بدمشق.

الطرز الثاني: التخطيط ذوالصحن والظلات ذات البلاطات:

يتكون تخطيط المسجد في هذا الطراز من صحن أوسط مكشوف تحيط به أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة، قسمت فيها الظلات إلى بلاطات عمودية على جدار القبلة بواسطة بوائك ذات عقود تسير باتجاه جدار القبلة، وأوسعها وأكبرها البلاطة الوسطى، كما في جامع عقبة بالقيروان.

الطرز الثالث: التخطيط ذوالبلاطات بدون صحن:

ولهذا النوع نموذج واحد يتمثل في عمارة المسجد الأقصى، حيث خلا المسجد من الصحن وغطي كاملاً بالسقوف المحمولة على بوائك معقودة عمودية على جدار القبلة أوسعها البلاطة الوسطى.

الطرار الرابع: التخطيط المثلث:

بني فيه المسجد على شكل مثلث متعدد، وله نموذج واحد يتمثل في قبة الصخرة المكونة من مثلثين داخلي وخارجي، ثم كرسي القبة المحيطة بصخرة المعراج.
وفيما يلي وصف لبعض المنشآت الدينية:

١- قبة الصخرة:

أنشأها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة ٧٢هـ ورصد لبنائها خراج مصر لسبع سنوات متصلة وعهد بالبناء إلى اثنين من المهندسين هما رجاء بن حيوة الكندي ويزيد بن سلام وقد شرع في بناء القبة عام ٦٦هـ/٦٨٥م وفرغ من بنائها عام ٧٢هـ/٦٩١م وقد سجل هذا البناء على شريط كتابي منقوش بالخط الكوفي المذهب على عقود التثمين وفي الجهة الجنوبية الشرقية ما نصه (بنا هذه القبة عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين في عام اثنين وسبعين تقبل الله منه ورضي عنه آمين).

وهناك روايات تقول أن الذي بنا هذه القبة هو الوليد بن عبد الملك ومن هؤلاء ابن البطريق الذي قال (وبعث الوليد بن عبد الملك إلى بيت المقدس فبنا مسجد بيت المقدس وشيده وصير الصخرة في وسطه وبنا حولها ورخمه وقلع قبة كانت للنصارى في كنيسة بعلبك وكانت القبة من النحاس المطلي بالذهب فنصبها على الصخرة وأمر الناس بالحج إليها).

سبب بناء قبة الصخرة:



ذكر أن سبب بنائها هو الاستعاضة عن الكعبة بسبب ثورة عبد الله بن الزبير هناك والذي ثار ضد الأمويين وأعلن استقلاله في الحجاز سنة ٦١هـ/٦٨٠م فأراد عبد الملك بن مروان أن يصرف الناس عن الكعبة خشية أن يأخذ الناس بالبيعة عند الحج فبنا عبد الملك مسجد الصخرة وأمر الناس بالحج إليه والطواف حول الصخرة ووظف لهذه الصخرة بعض الوظائف وكساها صيفاً وشتاءً.

وهناك رأي آخر يقول أن عبد الملك بن مروان بنا القبة حتى يكون للمسلمين مسجداً يضاهي في بهائه وقامته وسحره ما للمسيحيين من كنائس والتي تزدان بشتى أنواع الفنون فخشي عبد الملك بن مروان أن يظل المسلمون يتطلعون لهذه الكنائس دون أن يكون للمسلمين مثلها ورأي ثالث يقول (أن الخليفة عبد الملك عندما رأى قبة القيامة التي يحج إليها المسيحيون خشي أن تؤثر فخامة تلك القبة على قلوب المسلمين فأعترم أن يبني مسجداً مثلها وقد بنا ونصب على الصخرة كما ترى) وقد أورد هذا الرأي المقدس سنة ٣٧٤هـ.

سبب قدسية هذه الصخرة:

تحتل الصخرة مكاناً في نفوس المسلمين لا اعتقادهم أن النبي عرج منها إلى السماء كما رويت عدة أحاديث عن النبي ﷺ تبين فضل هذه الصخرة ومكانتها ومنها:

١. ما ذكره ابن عباس أن النبي ﷺ قال (صخرة بيت المقدس من صخور الجنة).

٢. ما رواه علي بن أبي طالب بقوله (قال رسول الله ﷺ قال: سيدة البقاع بيت المقدس وسيدة الصخور صخرة بيت المقدس) إلى جانب أن المسلمين قد اتخذوها قبلة قبل أن يولوا وجوههم شطر المسجد الحرام.

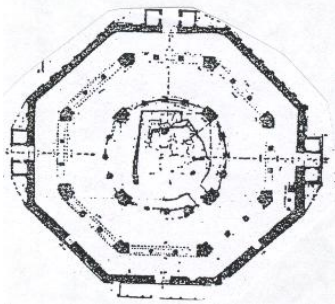
ويذكر ابن تيمية قبة الصخرة فيقول (أما الصخرة فلم يصل عندها عمر ولا أصحابه ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قبة والذي بنا القبة على الصخرة وكساها في الصيف والشتاء هو عبد الملك بن مروان وأنه

فعل ذلك ليرغب الناس في زيارة بيت المقدس ثم قال وأما أهل العلم التابعين لهم بإحسان فلم يكونوا يعظمون الصخرة فإنها قبله منسوخة).

الوصف المعماري للقبة:

تقع قبة الصخرة في وسط هضبة صخرية كبيرة تسمى الحرم القدسي ويقع على امتدادها في الجنوب الشرقي المسجد الأقصى.

المسقط الأفقي:



يتكون المسقط الأفقي لقبة الصخرة من مثنى داخلي أصغر حجماً من المثنى الخارجي ويتوسط المثنى الداخلي كرسي القبة الذي يحيط بالصخرة ويتكون من كرسي القبة من أربع دعائم تحصر فيما بينها ١٢ عمود من الرخام موزعة ثلاثة على جانب كل دعامة وتحمل كل من الدعائم الأربع والأعمدة الإثني عشر عقد تحمل القبة ويحيط بكرسي القبة الداخلي من ٨

دعائم مشطورة منصوبة في أركان المثنى الخارجي من الداخل على جانبي كل منهما عمودان من الرخام تحملان ثلاثة عقود ومجموعها ٢٤ عقد محمولة على ١٦ عمود وثمان دعائم وقد ربطت أرجل هذه العقود والدعائم بروابط خشبية لتزيد من تناسبها ثم يلي هذا المثنى من الخارج مثنى أكبر حجماً يمثل الجدران الداخلية لمثنى القبة ويبلغ طول ضلع المثنى ٢١م وارتفاعه ٩ أمتار.

ويمكن التوسع في الشرح لكل جزء من أجزاء القبة على النحو التالي:

أ. القبة

تتكون من طابقين مادتها من الخشب وقد صفحت القبة الداخلية بألواح خشبية غطيت بطبقة من الجص المكسية بطبقة أخرى مذهبة نقش على أزرار القبة من الداخل آية الكرسي وسورتها بخط النسخ أما القبة من الخارج فقد صفحت بألواح الرصاص المذهب وتحمل القبة تاريخ يرجع إلى ٤١٠ هـ منقوشة بالخط الكوفي وقد فصل المعمار بين القبتين بفراغ قدره ٧٥سم ملئ بطبقة اللباد وهوتصرف معماري يحفظ للقبة الداخلية من الحرارة والرطوبة بجانب الحفاظ على زخارفها والقبة من الخارج ذات قطاع نصف دائري.

وقد بنيت القبة على رقبة من الحجر الجيري وقد فتح بها عدد ١٦ نافذة مغطاة بالجص المعشق بالزجاج يعلوها نوافذ غير مفتوحة للخارج ويوجد على الرقبة نقش بالخط الثلث المملوكي مكتوب بماء الذهب تشير إلى أعمال الإصلاح والتجديد في عهد صلاح الدين الأيوبي والسلطان قلاوون المملوكي.

ورقبة القبة محمولة على كرسي القبة المكونة من ١٢ عمود من الرخام وأربع دعائم مربعة الشكل عرض كل منها ٣م مبنية من الحجر المكسوبالرخام الأبيض وقد وزعت الأعمدة بواقع ثلاثة أعمدة بين كل دعامة وأخرى وتحمل جميعها ١٦ عقد مدبب بطريقة مشهرة ويعلوا العقود رقبة القبة.

ب. الصخرة والمغارة:

توجد في محور المسقط تحت القبة وهي عبارة عن قطعة ضخمة من الصخر منتظمة الشكل وكانت تمثل قديماً قمة الجبل المعروف باسم مورية وذكر المؤرخون أن هذه الصخرة كانت في عهد بني إسرائيل قائمة في وسط المنطقة التي بنو فيها هيكلهم.

وقد اكتسبت هذه الصخرة قدسيتها عند المسلمين لاعتقادهم أن إبراهيم قد قدم ولده إسماعيل أضحى عليها ومنها عرج بالرسول ﷺ إلى السماء.

وتحت الصخرة مغارة ينزل إليها من الناحية القبلية عن طريق سلم هابط مكون من ١١ درجة والمغارة ذات

شكل مربع تحتوي على محرابين.

ج . مئذنة القبة:

لقبة الصخرة مئذنين: يحيط الداخلي منهما بكرسي القبة ويتكون من ثمان دعائم مكسوة بالرخام منصوبة في الأركان الداخلية للمئذنة الخارجي بين كل دعامة وأخرى عمودان من الرخام بواقع ثلاثة عقود فوق كل دعامة وعمودان ومجموع العقود ٢٤ عقد مدبب ويعلو هذه العقود إفريز بالخط الكوفي لسورة النساء وقد ربطت أرجل هذه العقود والدعائم بروابط خشبية لتزيد من تناسبها وقد قسم هذا المئذنة المساحة المحصورة بين كرسي القبة والمئذنة الخارجي إلى قسمين أخذت كل مكان للصلاة والطواف حول الصخرة وتحمل عقود هذا المئذنة السقف بالاشتراك مع المئذنة الخارجي وكرسي القبة والسقف بشكل مسلوب أو مائل للخارج.

فيما شيد المئذنة الخارجي بالحجر وقسم كل ضلع من أضلاعه الخارجية إلى سبع دخلات رأسية الجانبين منها مسدودتان والخمس الوسطى مفتوحة مغطاة بالجص المعشق بالزجاج وأسفل الفتحة الوسطى فتحة شبك لإضاءة المغارة التي تحت قبة الصخرة أما الأضلاع التي فيها الأبواب فيوجد بجانب كل باب أربع نوافذ نافذتان على يمينه ونافذتان على يساره، وفوق كل نافذة آية قرآنية.

وكسيت جدرانه الخارجية والداخلية بالفسيفساء منذ وقت إنشائها واستبدلت في العصر العثماني على يد السلطان سليمان القانوني ببلاطات القاشاني كما كسيت من الداخل بأنواع من الرخام الملون وكتابات بالخط الكوفي المذهب.

د. التاريخ:

يوجد بداخل قبة الصخرة شريط كتابي طوله ٢٤٠م مكتوب بالخط الكوفي البسيط ومزين بالفسيفساء المذهبة ونفذت الكتابات على أرضية زرقاء وعلى الجزء العلوي من المئذنة الداخلي وجد نص تأسيسي يشير إلى تاريخ بناء القبة حيث يذكر النص (بنا هذه القبة عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين سنة اثنين وسبعين للهجرة) ويلاحظ أن أسم المأمون وألقابه قد أضيفت بخط كوفي ضيق لا يتناسب من نسب الحروف التي كتبت بها كلمات بقية النص فضلاً عن إغفال الصانع أو الكاتب لهذه الإضافة حذف تاريخ الإنشاء وهو التاريخ الذي لا يرجع إلى فترة حكم المأمون وإنما يرجع إلى فترة حكم عبد الملك بن مروان نفسه.

هـ . الأبواب:

فتحت بالمئذنة الخارجي أربعة أبواب محورية يتقدم كل منها سقيفة محمولة على أعمدة صنعت أبوابها من الخشب وصفت بالنحاس وعرف كل باب باسم منها:

- الباب الشرقي: يؤدي إلى قبة السلسلة ويعرف بباب داوود أبواب إسرائيل.

- الباب الغربي: يعرف بباب القطانين.

- الباب الشمالي: يعرف بباب الجنة.

- الباب الجنوبي: وهو القبلي يقابل المسجد الأقصى ارتفاعه ٦,٥ ذراع وعرضه ٣,٥ ذراع وأمامه رواق

مفروش بالرخام الأبيض طوله ٢١,٥ ذراع وعرضه ١٤ ذراع وأمام الباب ثمانية أعمدة من الرخام.

وأهم ما يميز هندسة تلك الأبواب أن المعمار قد أوجد بشكل يمكن الداخل للقبة من أي باب من أبوابها المحورية أن يرى جميع ما فيها من أعمدة وأساطين ودعائم فلا يحجبه شيء وذلك عن طريق إيجاد انحناء بسيط في دائرة دعائم القبة ولولم يكن مثل هذا الانحناء لحجبت الأعمدة الواقفة أمام الداخل الأعمدة الأخرى المقابلة والمواجهة للمداخل لأنها تكون في هذه الحالة واقعة على خط مستقيم.

والمحراب ودكة المؤذن:

يوجد المحراب ناحية الجنوب باتجاه القبلة وهناك محراب آخر يسمى محراب عمر يقال أنه في المكان الذي بنا عمر فيه مسجده بالخشب وهناك محراب آخر يسمى قبلة الأنبياء. ويقابل المحراب دكة للمؤذنين مقامة على عشرة أعمدة رخامية.

٢- المسجد الأموي:

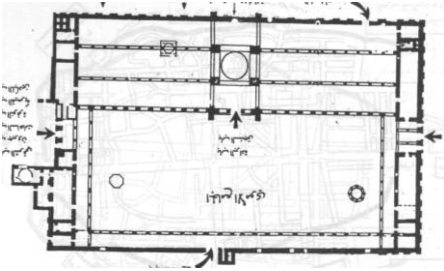


شيده الوليد بن عبد الملك فيما بين ٩٦.٨٨ هـ وكان موقعه الأصلي معبداً وثنياً محاطاً بسور مستطيل الشكل ثم تحول إلى كنيسة في القرن ٤م وكان للمعبد أربعة أبراج مربعة في أركانه وبداخله رواق يحيط به وعند فتح دمشق سنة ١٤هـ / ٦٣٥م استولى المسلمون على النصف الشرقي من الكنيسة عنوة لذلك اتخذها المسلمون مسجداً، فيما بقى القسم الغربي على ما كان عليه أي كنيسة لأنه فتح صلحاً.

وفي عهد الوليد بن عبد الملك اشتدت حاجة المسلمين لتوسيع المسجد وإقامة مسجد يليق بمكانة الدولة ومركز الخلافة فاشترى بقية الكنيسة من المسيحيين وعرضهم أرضاً غيرها، وقام بهدمها وبدأ البناء بيده وأكماله المسلمون وفق مخطط جديد مبتكر.

أراد الوليد بن عبد الملك أن يبني المسجد بأساطين دون عقود فأشار عليه البناءون أن يبني عقوداً فوق الأعمدة تحمل السقف لتخفف عن الأعمدة حمل البناء وليتساوى ارتفاع المسجد من الداخل مع ارتفاع الجدران الخارجية للمسجد التي كانت للمعبد، ويقال أن الوليد بن عبد الملك هدم المسجد كله وبني من جديد من الحجر ويقال أنه لم يهدم سوى الأجزاء الداخلية أما الجدران والأبراج فلم يهدمها بل أبقاها كجدران خارجية للمسجد وكذا المداخل المحورية الأربعة، في حين استخدمت الأبراج كمآذن، وما زال المسجد حتى اليوم يحتفظ بمعظم عناصره التي بنى عليها أيام الوليد رغم الحوادث التي تعرض لها وبذلك يعتبر المسجد الأموي آية في الفن المعماري وتحفة من التحف الفنية وثورة على البساطة والتعسف ملبياً رغبة الوليد بن عبد الملك في بناء مسجد لم يبين من قد مضى مثله ولن يبني من جاء بعده مثله.

تخطيط المسجد:



مستطيل الشكل يمتد من الشرق إلى الغرب يضم صحناً مستطيلاً ومكشوفاً تحيط به أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة التي تتكون من ثلاثة أساكيب فيما تتكون بقية الظلات من أسكوب واحد. وللمسجد أربع

مآذن في الأركان الأربعة، وثلاثة أبواب محورية رئيسية تؤدي جميعها إلى الصحن وباب رابع محوري بجانب المحراب يدخل منه الإمام وباب آخر في الجانب الغربي يصل المسجد بجنوب المدينة، وخارج المسجد مشاهد وزوايا وغرف.

الوصف المعماري:

١. ظلة القبلة (المقدم):

تعد ظلة القبلة أكبر الظلات اتساعاً تتكون من ثلاثة أساكيب موازية لجدار القبلة عرض كل منها ١٢م بوائكها مكونة من صف من الأعمدة الرخامية تحمل عقوداً مدببة أوحدوية، يعلوها صف من الفتحات المعقودة

بواقع فتحتين فوق كل عقد، ولهذه الفتحات وظيفتين: أولاهما زيادة ارتفاع سقف المسجد حتى يوازي ارتفاع الجدران الخارجية، وثانيهما تخفيف الحمل على العقود.

ويتكون السقف من سقفيين مزدوجين: الأعلى مكون من ثلاثة جمالونات مغطاة من الخارج ببلاطات القرميد، والأسفل مكون من براطيم مستقيمة من الخشب، ويقطع الأسايب الثلاثة بلاطة وسطى محورية على المحراب عرضها وسقفها أعلى من سقف الأسايب محمولة على صف من العقود العمودية على بائكة المحراب، وهذه العقود محمولة على دعائم تحمل كل دعامة ثلاثة عقود وتعلو العقود فتحات مماثلة لتخفيف الحمل وزيادة ارتفاع السقف، ولأن سقف البلاطة أعلى من سقف المسجد فإنه يعلو صف الفتحات السابق ذكرها صف آخر من النوافذ لإضاءة وسط المسجد، ويغطي



هذه البلاطة سقف جملوني مماثل لسقف المسجد، وعلى جانبي هذه البلاطة قسمت الأسايب إلى ١١ بلاطة في الجهة اليمنى و ١١ بلاطة في الجهة اليسرى، ويقال أنه كان يعلو بلاطة المحراب الوسطى ثلاث قباب الأولى فوق المحراب والثانية فوق البهو والثالثة في الوسط ولكن لم يبق منها إلا القبة الوسطى التي تعلو تقاطع البلاطة مع الأسكوب الأوسط حيث شكلت منطقة مربعة أقيمت القبة عليه وتشرف البلاطة على الصحن بثلاث فتحات أوسعها الفتحة الوسطى على نفس طريقة المداخل المحورية وقد حجب هذه البلاطة في الجهة المطلية على الصحن فوق الفتحات الثلاث بحجاب من الجدار المصمت تتخلله ثلاث نوافذ أوسعها الوسطى يتوج كل نافذة عقد نصف دائري، ويتوج النوافذ الثلاث معاً عقد واحد كبير يحمل الجدار المصمت المزخرف بالجص، ويقابل هذه الفتحات المدخل الرابع للمسجد الذي سدت الفتحة الوسطى منه وتحولت إلى محراب للمسجد ولم يبق منه سوى فتحة واحدة استخدمت كمدخل للإمام أو الوالي.

القبة:

للمسجد قبة واحدة تعلو منتصف البلاطة الوسطى وتسمى قبة النسر وقد عملت لتزيد من إضاءة وسط ظلة القبلة وهي أقدم قبة معروفة تتوسط البلاطة الوسطى.

المحراب:

احتل المحراب موقع الفتحة الوسطى من المدخل المحوري الرابع للمعبد فيما سدت الفتحة الشرقية وتجولت الفتحة الغربية إلى مدخل خاص بالإمام والخليفة، يتكون المحراب من حنية مجوفة مشغولة بالزخارف النباتية والهندسية، متوجة بطاقيّة مقرنصة متعددة الحطات، ويكتنف الحنية عمودين رخاميين يحملان عقداً مدبباً مكون من صنجات معشقة، ويعلو الحنية صدر المحراب المشغول بحشوات زخرفية هندسية ونباتية وكتابية.

كما يحتوي جدار القبلة على ثلاثة محاريب أخرى الأول يعرف باسم محراب المالكية أو الصحابة، وربما أنه أقدم المحاريب في المسجد وربما حل محل المحراب القديم للمسجد القديم الذي اقتطع من المعبد عند فتح دمشق سنة ١٤هـ، والثاني محراب الشافعية، والثالث محراب الحنابلة. وعلى يمين المحراب يوجد منبر الخطابة ومقصورة الخليفة.

الصحن:

مستطيل الشكل بلطت أرضيته بالحجارة وتحف به المجنات الأربع وفي الصحن ثلاث قباب هي:

١- قبة بيت المال وكانت تعرف بقبة عائشة أم المؤمنين ﷺ وتقع في غرب

الصحن، وهي مضلعة الشكل محمولة على ثمانية أعمدة كورنثية، وقد أقام صالح بن علي العباسي سنة



١٧٢هـ تحت هذه القبة غرفة مئذنة من الحجر والآجر كسيت بالفسيفساء.

٢- قبة البحرة وهي عبارة عن قبة حملت على ٤ سوارى من الرخام تحمل أربعة عقود تتوسط الصحن.

٣- قبة المواقيت: تعرف باسم قبة زين العابدين وقد أنشئت سنة ٤٠٠هـ في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي وتقع شرق الصحن، وهذه القبة محمولة على ثمانية أعمدة، وقد أحيطت أعمدتها بجدار وتحولت إلى ساحة للمواقيت في العصر العثماني

المجنبات:

تتكون كل منها من بائكة واحدة تطل عقودها على الصحن وهذه العقود أما مدببة أوحدوة الفرس محمولة على دعائم وأعمدة ونظامها عمودان ودعامة بالتبادل وقد سقطت بعض الأعمدة واستبدلت بدعائم ويعلو العقود صفان من النوافذ المستطيلة متوجة بعقود نصف دائرية موزعة بواقع نافذتين فوق كل عقد، وسقوف المجنبات الثلاث بشكل منحدر من الخشب.

المآذن:

كان للمعبد أربعة أبراج مربعة في الأركان، وعندما تحول إلى مسجد استخدمت الأبراج لأداء وظيفة الآذان ثم بنيت المآذن الأربع فوق الأبراج وقد هدمت ولم يبق منها سوى المئذنتين الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية، وهناك مئذنة ثالثة صغيرة عند المدخل الشمالي على هيئة برج مربع تعرف بمئذنة العروس، ثم شيدت في الجهة الشرقية مئذنة فوق برج المعبد عرفت بمئذنة عيسى وكانت قاعدة الصومعة القديمة بارتفاع ٣٢،٥م وقد جددت أجزائها السفلى في عهد المماليك أما المئذنة الغربية فقد شيدت فوق برج المعبد وتشير الكتابات المنقوشة عليها بأنها جددت على يد السلطان قايتباي ٨٩٣هـ.

السور والأبواب:

بنى السور الخارجي للمسجد بالحجارة ذات القطع الكبيرة وقد زود هذا السور بدعائم كما نصبت في زوايا السور أربعة أبراج مربعة الشكل بقى منها البرجان الجنوبيان وعليهما أقيمت المئذنتان الشرقية والغربية وقد شمل هذا السور أبواب المسجد الرئيسية التي ما زالت تحتفظ بعضها بما كان عليها من القديم وقد حافظ الباب الشرقي على طابعه الأموي ويدعى باب جيرون ويتكون من باب أوسط معقود عل جانبيه بابين صغيرين معقودين ويقابله الباب الغربي ويسمى باب البريد وهو على نفس التخطيط والعمارة للباب الشرقي ويؤدي كل من الباب الشرقي والغربي إلى دهليز، أما الباب الشمالي فهو مؤلف من فتحة واحدة فقط وقد جدد في عصور لاحقة وكان يدعى باب الفرديس.

أما الباب المفتوح بظلة القبلة فكان يسمى باب الزيادة كما كان يوجد بجدار القبلة باب مكون من ثلاث فتحات استخدمت فتحته الشرقية لدخول الخلفاء فيما سدت الفتحة الغربية وتحولت الفتحة الوسطى إلى محراب وكان يعلو فتحات الأبواب نوافذ مسطحة.

الزخارف:

كان المسجد مفروش بالرخام وجدرانه مغطاة بالألواح الرخام حتى ارتفاع قامة الإنسان يعلوها زخارف الفسيفساء الملونة والمذهبة التي لم يبق منها إلا القليل التي تحوي موضوعات تعبر عن الجنة وما تحويه من عناصر نباتية وهندسية وقرى وأنهار وأشجار كما أن جدرانه من الخارج مزخرفة وكذا سقفه الخشبي.

تجديدات المسجد:

تعرض المسجد لعدة زلازل وحرائق وفي كل مرة كان يصاب في جهة من جهاته ويترتب عليه فقد شئ من

رونقه، وإن كان أعظم ما تعرض له المسجد حريق سنة ٤٦١هـ كما تعرض الباب الشرقي للحريق وعندما هاجم تيمورلنك قلعة دمشق ٨٠٤هـ نصبت آلات الحرب في صحن الجامع لمهاجمة القلعة فألحق ذلك ضرراً كبيراً بالجامع أتى على كثير من عناصره المعمارية والزخرفية.

٣- القصور الأموية:

لم يبق من القصور الأموية إلا القليل لأنها تهدمت لا بسبب الزمن ولكن لأنها تخص أشخاصاً معينة بعكس المساجد التي تهتم كل الناس وليست ملكاً لأحد لأنها بيوت الله على الأرض. ونظراً لتوسع المدن والتجديد في مبانيها كانت القصور أدعى للزوال وكل حاكم أودولة تهدم قصور الحاكم أو الدولة التي قبلها.

أما قصور البوادي فقد ظلت باقية لأنها كانت تقع في أماكن منعزلة وبعيدة لا تلفت النظر إليها ولا يحتاجها الناس للبناء بموادها أوفي مكانها أولسكن والعيش منها.

لهذا تجد أنه لا يوجد قصر من القصور الأموية في المدن وكل ما وصلنا من القصور الأموية هو وصف المؤرخين والرحالة لها مثل قصر معاوية المسمى الخضراء وقصر هشام بن عبد الملك ودار عمر بن عبد العزيز وقصر الحجاج بن يوسف.

أما قصور البوادي السورية والأردنية والفلسطينية فإن أطلالها ما تزال قائمة حتى اليوم تمدنا بمعلومات كاملة عن التخطيط المعماري لتلك القصور، ولكن السؤال يتردد: ما سبب بناء القصور خارج المدن؟.

وللإجابة على هذا السؤال يمكن القول إن هناك عدة أسباب تكشف من خلال الاكتشافات الأثرية لمجموعة القصور التي كشف عنها النقاب ترجع في عمارتها إلى العصر الأموي ومنها قصر المشتي، الطوبة، الحير الشرقي والغربي، قصر حرانه، خربة المفجر، قصر البرقع، قصر الوليد بالمنية، قصر الموقر،، قصر القسطل، قصر خربة المفجر،، قصر عنجر، قصر الشعيبة، فضلاً عن الحمامات البخارية ومن أشهرها حمام قصير عمرا، وحمام الصرخ.

وقد اختلف علماء الآثار حول سبب بناء تلك القصور في الأماكن البعيدة عن العمران والمدينة ومن أهم تلك الأسباب:

- ١- تفضيل الخلفاء الأمويين لحياة البادية لملائمتها لطبيعة نشأتهم الصحراوية البدوية فأنشأ بعضهم قصور المعسكرات في الحيرة وقصور اللهوفي الأردن ونقلوا إليها الماء من مسافات بعيدة.
- ٢- أنشأ بني أمية هذه القصور والحمامات كاستراحات يأوون إليها بعد رحلات الصيد المرهقة التي تحتاج إلى استرخاء واستحمام بعيداً عن صخب المدينة ومشاكلها السياسية.
- ٣- أنشأت كملاجئ لملوك بني أمية عند انتشار الأمراض والأوبئة الفتاكة في المدينة.
- ٤- أنشأ ملوك بني أمية هذه القصور لكي يلهون فيها بعد انغماسهم في حياة الترف والنعيم واللهولأنهم في المدينة لا يستطيعون ذلك للحفاظ على هيبتهم بين رعيتهم فأنشئوا هذه القصور لكي يلهون فيها بعيداً عن أعين الرقباء.
- ٥- ليمارسوا فيها أيضاً النشاط البدني كالرياضة والفروسية والحياة الخشنة لكي يستطيعوا تحمل أعباء الحكم.
- ٦- رغبة الخلفاء من التقرب من أهل البادية التي تربطهم بالخليفة روابط العشيرة والقبلية العربية والعادات وسعى الخليفة لكسبهم.
٧. حياة البادية كانت المدرسة الأولى لتعلم بني أمية اللغة العربية الصحيحة بعد دخول اللحن واللكنات والرطانة

بسبب تعدد أجناس سكانها.

٨- أنشأت لتكون نواة لمدن جديدة يقيم الناس حولها فتتكون المدينة.

٩- أنشأت كأماكن للعزل السياسي للخارجيين أوالمخالفين للدولة.

١٠- أنشأت كمراكز للإئماء الاقتصادي في الضياع التي يملكها بني أمية والنبلاء.

المخطط المعماري للقصر الأموي

تشابهت القصور في مخططاتها المعمارية والتي كانت تتكون من السور الخارجي المحيط والصحن الداخلي التي تشرف عليه الأروقة تعقبها غرف في طابق أو طابقين.

وغالباً ما يأخذ السور الخارجي طابع محصن يخلو من الفتحات والزخارف ومحاط بأبراج والتي لم تكن من الضرورة لأن الأمن متوفر في البوادي وولائهم للخليفة ولذا فوظيفتها هوندعيم الجدران وإظهار المبنى بمظهر قوي ومنيع وكانت الأبراج إما دائرية أو نصف دائرية أو ثلاثة أرباع الدائرة أو مربعة أو نصف مربعة

أ- قصر المشتى:

يقع جنوب عمان بحوالي ٢٠ ميل، وقد اكتشف سنة ١٨٤٠م على يد لايارد ثم كشف عنه ترايستران مرة أخرى سنة ١٨٧٢م.

تاريخ القصر :

اختلف العلماء في تاريخه ولكنه قطعاً ينتمي إلى العصر الأموي ويقال إنه ينسب للخميين في الحيرة في القرن ٤م ونسبه آخرون إلى الغساسنة في القرن ٦م ونسبه غيرهم إلى كسرى الثاني عندما خضعت له الشام ولكن الباحثين أجمعوا على نسبته إلى الأمويين من خلال العناصر المعمارية المتمثلة في :

أ - طريقة البناء بالحجر والطوب وهي طريقة أموية.

ب - وجود محراب في الضلع الجنوبي يشير إلى إسلامية البناء.

ج- تشابه زخارفه مع زخارف قبة الصخرة.

ومن خلال البحث أجمع الباحثون على تحديد عصره وأفترة بنائه إلى عهد الخليفة يزيد الثالث ١٠١هـ أو عصر الوليد الثاني ١٢٥هـ / ٧٤٣م.

المسقط الأفقي:

مساحة مربعة الشكل طولها ١٤٤م^٢ له مدخل واحد من الجهة الجنوبية يكتفه برجان نصف مثنان وبحيط به سور مبني من الحجر ومدعم بمجموعة من الأبراج على هيئة ثلاثة أرباع الدائرة في الأركان وأبراج نصف دائرية على الأضلاع ويبعد كل برج عن الآخر بحوالي ٩م وكلها مبنية من الحجارة بطريقة مصمتة عدا أربعة أبراج تحتوي على فتحات أختلف في شأنها بعضهم يقول إنها لإلقاء الزيت المغلي على من يحاول اقتحام القصر، فيما اعتبرها كيزول دورات للمياه، وربما كانت لتصريف مياه الأمطار والتلوج من على سطح القصر وخاصة أن الفتحات في أعلى البرج وليست أسفله.

ينقسم تخطيط القصر من الداخل إلى ثلاثة أقسام تتجه من الشمال إلى الجنوب عرض القسم الأوسط ٥٧م والقسمان الجانبيان عرض كل منها ٤٢م، وهذين القسمين عبارة عن أفنية تظهر لأول مرة في هذا القصر كعنصر معماري.

القسم الأوسط ينقسم إلى ثلاثة أجزاء رأسية يشمل الأول كتلة المدخل ثم الجزء الثاني فناء أوسط مكشوف

عرضه ٥٧م والثالث يشمل القاعة الملكية وملحقاتها، وجميع الأجزاء الداخلية للقصر مبنية من الطوب على قاعدة من الحجر مكونة من ٤ مداميك.

كتلة المدخل:

يكتنف المدخل من الخارج برجان على هيئة نصف مثنى يحصران فيما بينهما بوابة كبيرة موجودة حالياً في متحف برلين كهدية من السلطان عبد الحميد للقيصر غليوم الثاني وكانت هذه البوابة مزينة في الواجهة بعدد من المثلثات في أوضاع مقلوبة ومعدولة على هيئة سبعات وثمانيات نقش في كل مثلث وريدة وبعض رسوم الحيوانات المتقابلة والمتدايرة يتوسطها شجرة الحياة على أرضية من الزخارف النباتية المحفورة على الحجر.

يؤدي المدخل إلى ممر مستطيل من الشمال للجنوب على جانبيه صفات من القواعد المربعة لعدد ثمانية أعمدة كانت تحمل العقود المستعرضة كما في قصير عمرا والتي تحمل السقف وعلى يمين هذا الممر ساحة مستطيلة في ضلعها الجنوبي دخلة نصف دائرية عبارة عن محراب للمسجد الملحق بالقصر يليها حجرات باتجاه الشمال وعلى يسار الممر مجموعة من الحجرات المخصصة لخدم القصر.

يؤدي هذا الممر إلى فناء مستطيل م وحول الفناء قواعد مربعة لأعمدة عددها ١٤ عمود ٤ شمالية و ٤ جنوبية و ٣ شرقية و ٣ غربية، بالإضافة إلى أربع دعائم في الزوايا، وهذه الأعمدة والدعائم كانت تحمل عقود الرواق المحيط بالفناء من جوانبه الأربعة، ويشكل هذا الفناء مع الممر المستطيل السابق ذكره شكل حرف t.

الفناء الأوسط:

يفتح بهو المدخل بباب يؤدي إلى الفناء الأوسط المربع الشكل والذي يصل بين كتلة المدخل والقاعة الملكية، ويفتح منه في الركن الجنوبي الشرقي والجنوبي الغربي بابان يؤديان إلى الفناءين الجانبيين.

القاعة الملكية :

يفتح الفناء الأوسط في ضلعه الشمالي باب مكون من ثلاث فتحات تعلوها عقود نصف دائرية محمولة على أربع دعائم أكثرها اتساعاً وارتفاعاً الفتحة الوسطى وهي تشبه مداخل الجامع الأموي المكون من ثلاث فتحات أكبرها وأوسعها الوسطى. تؤدي الفتحة الوسطى من المدخل إلى ممر مستطيل ينتهي بتخطيط بازليكي تمثل قاعة الاستقبال والمكونة من ثلاث حنيات نصف دائرية، يكتنفها من ثلاث جهات ثلاثة ارتدادات مقوسة، ويكتنف هذه القاعة من الجانبين زوجان من البيوت.

أما الفتحتان الجانبيتان من المدخل فتقضي كل فتحة منهما إلى ممر ضيق منكسر في نهايته يؤدي إلى فناء مستعرض، يتصل به فناءين مستطيلين يمتدان من الشمال إلى الجنوب يكتنف كل منهما زوجين من الغرف أبوابهما تفتح على الفناء ويفتح في زوجي الغرف في الركن الشمالي الشرقي والشمالي الغربي بابان يؤديان إلى الفناءين الجانبيين للقصر، كما يفتح الفناء الذي يتوسط زوجي الغرف بباب إلى الفناء الجانبي وهذه الغرف مسقوفة بأقبية مبنية بطوب مربع الشكل وعقود مدببة، وتمثل أربع مجموعات من البيوت حول قاعة العرش كل بيت يتكون من فناء أوسط على جانبيه أربع غرف.

وبعد تخطيط القاعة الملكية ذات الشكل البازليكي تخطيطاً جديداً يظهر لأول مرة في سوريا في هذا القصر، وتتبع نظام الغرف في بيوت قصر المشتى النظام البابلي الذي وجد في قصر القسطل على بعد أربعة أميال من قصر المشتى.

أما الأصل في تخطيط قاعة العرش على شكل ثلاث حنيات نصف دائرية فقد وجدت في الحمامات الرومانية في مدينة كليشة بتونس، وفي الغرفة الساخنة في حمامات لمبسه الرومانية في الجزائر وفي كنيسة يوحنا البطريرك ٤٥٠ - ٤٦٠م في القدس وقد استخدم هذا التخطيط كقاعة للعرش لأول مرة في مدينة بصرى ثم

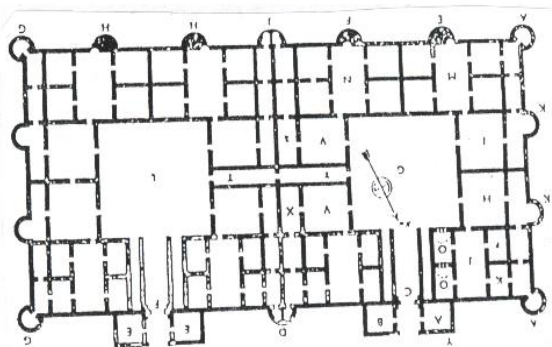
في قصر ابن وردان سنة ٥٦٤م ثم في قصر الدير الأبيض والأحمر بسوهاج ٤٠م.

مادة البناء :

استخدم الحجر في بناء الأسوار وغشيت بطبقه من الجص، أُنحتت عليها رسوم نباتية وحيوانية متنوعة، كما أن أساسات القصر مكونة من أربعة مداميك من الحجر من النوع الكلسي الكهرماني ارتفاع كل مدامك ما بين ٣٧ - ٤٣ سم، ثم أكمل البناء بالطوب.

ب- قصر الطوبة.

يقع في وادي غداف على بعد ٦٠ ميل جنوب شرق عمان وقد اكتشفه موزيل سنة ١٨٩٨م. وهو مكون من مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب طولها ١٤٠م وعرضها ٧٢م تحيط به من الخارج أسوار سميكة وأبراج نصف دائرية وثلاث أرباع الدائرة في الأركان وأبراج مربعة عند المداخل.



وينقسم القصر إلى قسمين رئيسيين متماثلين يتكون كل منهما من مربع يزيد طول كل ضلع عن ٧٠م بنيا بجانب بعضهما متلاصقان يتصلان ببعضهما بواسطة دهليز أو ممر مستعرض من الداخل يفتح على مباني القسمين ويتكون كل قسم منهما من: مساحة مربعة تضم مدخلا يكتنفه برجان مربعان يؤدي إلى مساحة مستطيلة تؤدي إلى فناء أوسط مربع على كل من جانبيه الشرقي والغربي كل فناءان، يؤدي كل فناء منهما إلى فناء آخر مستطيل على جانبيه أربع غرف كمخازن تمتد بين برجي الزاوبين.

الوصف المعماري:

السور الخارجى:

بني السور من الحجر الجيري ودعم بعدد من الأبراج لإكساب القصر من الخارج طابع عسكري دفاعي وهذه الأبراج موزعة في السور أربعة على الزوايا ذات شكل ثلاثة أرباع الدائرة وفي الضلع الشرقي ٤ أبراج نصف دائرية وكذا الضلع الغربي، وفي الضلع الشمالي أربعة أبراج مربعة على هيئة برجين بجانب كل باب وفي منتصف الضلعين الشمالي والجنوبي في منطقة الاتصال بين قسمي القصر برجان نصف دائريان من الخارج قسما من الداخل إلى فئتين يؤدي كل منهما إلى قسم من القصر.

وللقصر مدخلان رئيسيان في الضلع الشمالي يتقدم كل مدخل من الخارج برجين مربعين شكلا على هيئة حجرتين مربعتين خصصتا لإقامة الحراس بهدف ملاحظة الداخل والخارج من وإلى القصر.

القصر من الداخل:

نظرا للتطابق بين قسمي القصر من الناحية المعمارية فسوف يقتصر الشرح على أحد الأقسام والذي يمكن تطبيقه على القسم الآخر.

يؤدي المدخل الذي تتقدمه حجرات الحراس إلى ممر أودھليز مستطيل يؤدي إلى فناء أوسط مكشوف على جانبيه من الشرق والغرب أربعة أفنية مستطيلة تفتح بأبواب على الفناء الرئيسي ويؤدي كل فناء منها إلى فناء آخر مستطيل الشكل على جانبية أربع حجرات مخصصة للسكن وهي مسقوفة بأقبية مدببة ويلاحظ أن زوجي

البيوت الجنوبيتان أوسع من الشماليان بسبب اقتطاع جزء منهما كمدخل رئيسي وربما كانت بيوت الضلع الشمالي مخصصة للحاشية وربما كانت الأفنية التي متوسط الحجرات من الجهة الجنوبية تستخدم كمساجد للصلاة بسبب العثور في أربع منها على محاريب باتجاه الجنوب ويكتنف زوجي البيوت الشرقية والغربية من الشرق والغرب حجرات مستطيلة تفتح على الأبراج مغطاة بأقبية ربما استخدمت كمخازن

تاريخ القصر :

يتشابه الأسلوب الفني والمعماري في قصري الطوبة والمشتى لدرجة كبيرة ما يرجح نسبتها إلى فترة زمنية واحدة من حيث :

- ١- موقعهما بالصحراء.
 - ٢- مواد البناء الحجرية والطوبية.
 - ٣- التشابه في الأسوار ذات الأبراج النصف دائرية وثلاثة أرباع الدائرة.
 - ٤- اشتغال بعض الأبراج على فتحات.
 - ٥- وجود المدخل بين كتلتين بارزتين.
 - ٦- التكوين المعماري الداخلي الذي نتج عن تعامل الأقبية والحجرات.
 - ٧- وجود قاعات بها محاريب.
 - ٨- تشابه التخطيط في الأشكال المستطيلة والأقبية المكشوفة والبيوت المتقابلة.
 - ٩- التشابه الزخرفي في النحت والحفر على الجص.
 - ١٠- التقاف التكوين الداخلي حول فناء أوسط.
- وكل هذا يؤكد بناء القصر في العصر الأموي.

٤- الحمامات:

عثر في صحراء الشام وبادية الأردن على العديد من الحمامات التي شيدت في العصر الأموي منها الحمامات المستقلة والتي تقع ضمن القصور، ومن أشهرها حمام قصير عمرا، وحمام الصرخ، وهما متشابهان في التخطيط لذلك سنكتفي بوصف أحدهما:

حمام قصير عميرا:

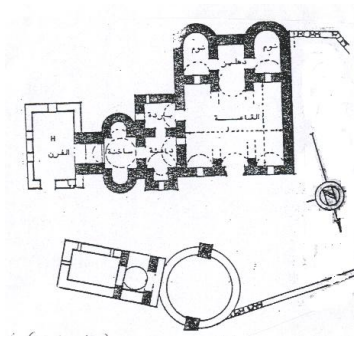
يقع على بعد ٥٠ ميل شرق عمان كشف عنه موزيل سنة ١٨٩٨م وهو يرجع إلى عصر الوليد بن عبد الملك وقد تم تأريخه من خلال عناصره المعمارية والزخرفية التي تحتوي على صور لأعداء الإسلام زمن الوليد.

تخطيط القصير:

يتكون القصر من قسمين رئيسيين هما: قاعة الاستقبال والحمام، ويحيط بالقصير كجدران سور سميك يحيط بكتلتي الاستقبال والحمام ليس به سوى مدخل واحد في الجهة الشرقية وليس به فتحات خارجية إلا القليل قرب السقف وذلك لكي يتناسب مع حياة البادية ومبدأ الشرف الإسلامي.

أولا قاعة الاستقبال:

تتكون من كتلة بنائية مستطيلة الشكل تمتد من الشمال إلى الجنوب يفتح في ضلعها الشمالي مدخل محوري بعكس مدخل حمام الصرخ الذي يوجد في الجهة الغربية ويؤدي المدخل إلى قاعة الاستقبال المكونة من مساحة



مستطيلة تنقسم إلى ثلاثة مستطيلات مغطاة بأقبية نصف دائرية يفصلها عن بعضها عقدان طوليان وسقف كتلة الدخول أعلى من سقف القاعة الملكية وفي ضلعها الشمالي قرب السقف مجموعة من النوافذ. وتؤدي هذه الكتلة إلى قاعة العرش الرئيسية وهي مستطيلة الشكل مسقوفة بقبوة وسقفها أقل ارتفاعاً من سقف قاعة الاستقبال ويحلى صدرها حنية عليها صورة الخليفة جالس على عرشه وعلى جانبي قاعة العرش حجرتان مستطيلتان ضلعهما الجنوبي نصف دائري ويفتح كل منها بباب على قاعة العرش الرئيسية وفي ضلعي الحجرتين الشماليين شباكان يفتحان على قاعة الاستقبال بعكس نوافذ حمام الصرخ التي كانت على شكل مزازل تفتح على الخارج بشكل مخروطي رأسه إلى الخارج وهذه الحجرات مسقوفة بأقبية مستطيلة قطاعها نصف دائري

ثانياً الحمام:

يقع في الضلع الشرقي لقاعة الاستقبال ويتم الدخول إليه بباب يقع في الضلع الشرقي لقاعة الاستقبال يؤدي إلى الغرفة الباردة من الحمام وهي غرفة مخصصة للراحة، تخطيطها مستطيل الشكل مسقوفة بقبوة ويفتح في صدرها شباك وعلى يسار الداخل إليها باب يؤدي إلى الغرفة الثانية والتي تسمى باسم الغرفة الدافئة ويتم فيها خلع الملابس العادية ولبس ملابس الاستحمام، وتخطيطها مربع الشكل مسقوفة بقبوة متقاطع يفتح في صدرها حنية بها مصطبة مرتفعة قليلاً عن الأرض يعلوها شباك مغشى بالجص المعشق بالزجاج وعلى يسار الداخل إليها شباك آخر يطل على كتلة الدخول في قاعة الاستقبال وفي أركان هذه القاعة أربعة أنابيب فخارية تنقل البجار الساخن من الفرن إلى الغرفة لتدفئتها وعلى يمين الداخل إلى هذه القاعة باب يؤدي إلى الغرفة الثالثة والتي تسمى بالغرفة الساخنة أو غرفة المغطس وهي غرفة مربعة الشكل مسقوفة بواسطة قبة محمولة على مثلثات كروية يكتنفها من الشمال والجنوب فتحتان نصف دائريتان مسقوفتان بأقبية وذلك لتقليل المساحة حول المستحم وفي أركان الغرفة أنابيب البخار والهواء الساخن وفي صدر القاعة مساحة مستطيلة مغطاة بقبوة تمثل فرن الحمام الذي يسخن المياه ويتصل بالفرن من الجهة الشرقية قاعة مستطيلة عرضية مخصصة لوقود الحمام، ويفتح في ضلعها الشمالي باب يدخل منه عامل إيقاد الفرن وفي ضلعها الشرقي شباكان وفي الجنوبي شباك، وإلى الشمال من القصر مجموعة من الملحقات تمثل حوض دائري وإسطبلات ومخازن.

العناصر المعمارية:

- بنى القصر من الحجر الجيري الأحمر والأقبية مغطاة بطبقة من البلاط، فيما فرشت الأرضيات ببلاطات من الرخام تجري بأسفلها مواسير البخار الساخن.
- للقصر مدخل واحد في الجهة الشمالية محوري على قاعة الاستقبال.
- غطي الحمام وقاعة الاستقبال بنوعين من التغطيات:
- أ- القبو بنوعيه المستطيل في قاعة الاستقبال والغرفة الأولى من الحمام والقبو المتقاطع في الغرفة الثانية من الحمام وقطاع الأقبية نصف دائرية.
- ب - القبة تغطي الغرفة الثالثة من الحمام قطاعها نصف دائري محمولة على أربع عقود نصف دائرية وأربع مثلثات كروية.
- أحيطت قاعة الاستقبال والحمام بجدار واحد سميك ليس له سوى باب واحد وقد روعي في بناء وتخطيط الحمام البيئة التي تقع فيها وهي الصحراء حيث خلت الجدران من النوافذ سوى بضعة منها تقع على ارتفاعات عالية.
- ظهر هذا التخطيط في حمام الصرخ وقصر المشتى وقصر الطوبة وذلك في تقسيم المبنى إلى ثلاثة أقسام مستطيلة.

العناصر الزخرفية:

يحلّى الجدران وأقبية القصر من الداخل العديد من الصور الملونة من الفريسكوذات الألوان البنية القاتمة والفاتحة والأزرق الفاتح والخيزراني والأصفر الغامق وتضم رسومه راقصات ونساء عاريات ورسوم صيد واستحمام ورسوم رمزية لآلهة الشعر والفلسفة والحب والنصر والتاريخ عند اليونان وصور مراحل عمر الإنسان ورسوم قبة السماء بأبراجها ونجومها ورسوم الطيور والقردة الراقصة والعازفة وأهم زخارف القصير رسمان أمكن بها تاريخ القصر وهما:

- ١- رسم الخليفة جالس على عرشه في قاعة الاستقبال الرئيسية يحف به شخصان يحملان مضلة محمولة على عمودين على عقد المظلة كتابة كوفية ربما تمثل الخليفة الأموي.
- ٢- صورة أعداء الإسلام وتمثل ستة أشخاص في صفيين يلبسون ملابس مختلفة فاخرة وكل ملك يلبس ملابس بلاده وتاج ملكه وفوق رؤوسهم كتابة إغريقية وعربية لأسمائهم وهم: قيصر وذريرق وكسرى والنجاشي وملك الصين وملك الترك وبهذه الصورة أرخ العلماء تاريخ القصر بأنه يعود إلى أيام الوليد بن عبد الملك لأن هؤلاء هم أعداء الدولة الإسلامية، وكان آخرهم وهورذريرق قد قتله المسلمون أيام الوليد.

الوحدة الرابعة: العمارة في العصر العباسي:

قام العباسيون ببناء العديد من المنشآت المعمارية المدنية منها والدينية والعسكرية والتعليمية والاجتماعية.. الخ ومن أهمها:

أ- عمارة المدن وأهم آثارها:

بنيت في العصر العباسي العديد من المدن، من أهمها مدينتا بغداد وسامراء:

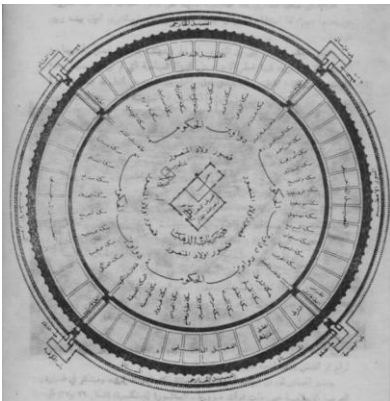
١- مدينة بغداد: (١٤٥-١٤٩هـ):

بعد أن توفي الخليفة العباسي أبو العباس السفاح نودي بالمنصور خليفة للإسلام والمسلمين في ذلك الوقت ولما كانت نظرة العباسيين متجهة نحو الشرق كان الواضح أن يتطلب الأمر وجود عاصمة كمقر على نهر دجلة أو الفرات فقام الخليفة المنصور بعدة رحلات للبحث عن مقر العاصمة حتى استقر عزمه على اختيار مدينة بغداد الحالية وكان هذا الموقع قديماً يمثل مدينة مندرسة تسمى بهزاز أو بفزاز ولما عزم الخليفة أبو جعفر المنصور على إنشاء مدينته بعث لكل ولاية الأمصار لإرسال كل من اشتهر بصناعة البناء من عرفاء ومهندسين وفنيين فجمع له من أماكن عديدة مهندسين من سوريا والموصل وغرب إيران والكوفة وواسط والبصرة وقد وصل عددهم إلى الآلاف.

تصميم المدينة كما ذكره الطبري:

يقول الطبري أن تصميم المدينة كان قد رسم على الأرض بواسطة خطوط من الرماد لأن المنصور كان يريد أن يرى شكلها الحقيقي وكان على شكل دائري به أربعة مداخل على مسافات متساوية سميت باسم المدينة التي تقع على اتجاهها فالبوابة المواجهة للكوفة سميت بالكوفة وكذا خراسان والبصرة والشام.

وقد وضع الأساس في وقت اختيار بواسطة العالم الفلكي (نوماخت) وقد أجمع المؤرخون العرب أن تاريخ البناء يرجع إلى سنة ١٤٥ هـ ٧٦٢م



كما أنهم أجمعوا على أن التاريخ الذي انتهى العمل فيه هو ١٤٩ هـ ٧٦٧ م أي بعد أربع سنوات فقط. وكان بناء المدينة بشكل دائري لعدة أسباب:

الأول: لتكون جميع أطرافها متساوية في البعد عن المنطقة المركزي.

الثاني: الاقتصاد في المواد لأن التصميم الدائري تقل المواد المستخدمة في بنائه عن المربع بحوالي ١٢%.

الثالث: سهولة المراقبة بين الأبراج لعدم وجود زوايا تحجب الرؤية.

وبنيت الأسوار بالطوب وكانت مساحة كل طوبة ذراع × ذراع وربط المعمار بين المداميك بالبوص لربط كل مدامك بالآخر كما استخدم الطوب المحروق في تغطيات سقوف الممرات والحجرات الداخلية.

الأسوار والتحصينات:

أورد الخطيب البغدادي وكذلك اليعقوبي أيضاً نصوصاً موفقة عن تحصينات مدينة بغداد المتنوعة والتي تتكون في مجموعها من: خندق، مسناة، سور أول، فيصل، سور ثان، فصيل ثان، المنطقة السكنية والممرات ذات الطاقات، فصيل ثالث، سور ثالث، الطاقات الصغرى، الرحبة المركزية، الدواوين، قصور الأتباع، قصر الخليفة والمسجد الجامع، وفيما يلي وصف مفصل لمدينة بغداد:

الخندق:

أحيطت مدينة بغداد بخندق محفور اتساعه ٢٠ م وعمقه ٦ م، بنيت حافته بالآجر والجص، وكان يملأ بالمياه من نهر كرخايا ليكون أول عائق مهم أمام محاولة العدو اقتحام أو عبور الخندق، ووضعت فوق الخندق أمام كل باب قنطرة أو جسر متحرك تمكن الناس من العبور عليها وقت السلم ونهاراً وترفع ليلاً.

السور الخارجي:

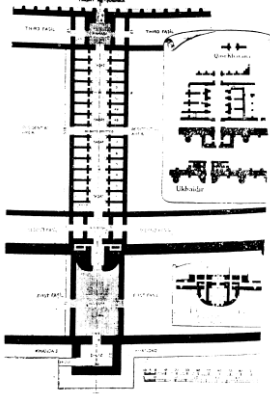
يلي الخندق سور خارجي يمثل خطاً دفاعياً وفاقياً، بنيت جدرانه من الطوب اللبن الكبير الحجم ووضعت بين طبقاته جوائز من القصب، وكسي من الأسفل بالآجر والصاروج بشكل مائل (مسناة) لوقايته من التأثير بماء الخندق، ويتميز بأن سمك جدرانه ٢٥ م عند القاعدة و ١٠ م عند القمة، وذكر الخطيب البغدادي أن ارتفاع هذا السور ٣٥ ذراع أي حوالي ٢٠ م، وهوبذلك أقل سمكاً من السور الداخلي وكذلك أقل ارتفاعاً منه حتى يسهل على المدافعين عن السور الداخلي كشف الساحات المحيطة بالمدينة من الخارج، وفتحت فيه أربعة مداخل بارزة منكسرة يضطر معها المهاجم الانعطاف يساراً ماراً في دهليز معقود بالآجر والجص فتتكشف يمينه غير المحمية بالدرع مما يسهل إصابتها بالسهم، كما أن هذا الانكسار يقبب من الاندفاع الشديد للمهاجمين نحو الباب وتمنع إصابته مباشرة بفدائف المنجنوقات، فضلاً عن ذلك حصنت المداخل بأبواب من الخشب وصدفت بالحديد لمقاومة ضربات العدو الذي يحاول اقتحامها.

السور الداخلي:

يعرف بالسور الأعظم ويفصل بينه وبين السور الخارجي فصيل عبارة عن مساحة مكشوفة اتساعها ٥٠ م خالية من البناء، تسمح باصطياد العدو من قمة السور الداخلي وتشنت قوته من خلال وجود رحبات تتقدم الأبواب من الداخل تقسم الفصيل إلى أربع مساحات تمنع العدو من التنقل بين أقسامه.

بني هذا السور بقوالب الآجر عكس السور الخارجي، وارتفاعه ٣٠ م وسمكه في الأسفل ٣٥ م وفي أعلاه ١٢ م، ويتناقص هذا السمك كلما ارتفع السور حتى يصل سمكه في الأعلى ١٢ م، وقد جعل هذا السور أكثر ارتفاعاً من السور الخارجي لعدة أسباب ومنها مراقبة تحركات العدو المهاجم خلف السور الأول، وسهولة توجيه الأسلحة المختلفة نحو العدو.

وكان السور مدعماً بأبراج من الخارج ذات شكل نصف أسطواني يبلغ عددها ١٣ برج تتوزع بين المداخل بمعدل ٢٨ برج بين كل بابين ما عدا المساحة بين بابي الكوفة والبصرة فتحتوي على ٢٩ برج، وقد بنيت هذه الأبراج بارتفاع يزيد عن ارتفاع السور بخمسة أذرع لزيادة الدفاع والمراقبة، وتوج السور والأبراج من أعلى شرف دفاعية.



وتقع المداخل التي تخترق السور الرئيسي على استقامة واحدة مع أبواب السور الخارجي، وقد خططت الأبواب تخطيطاً دفاعياً دقيقاً يمكن من خلاله التحكم الجيد في الدخول والخروج من المدينة والسيطرة على كل جزء منها، ويغلق على كل باب منها مصراعان من الحديد، ولكل باب منها سلالمة تصعد إلى غرفة علوكل باب متوجة بقبة عظيمة مذهبة ارتفاعها ٥٠ ذراعاً، ويمكن من خلال هذه الغرفة مشاهدة المنطقة خارج المدينة ومراقبتها، وزودت الأبواب بالجند لحراستها وغرف خاصة بالجند بلغ عددها في كل باب ١٠٨ غرفة منها ١٠٠ غرفة للجند و٨ غرف للقادة، تتسع كل غرفة لعشرة جنود مما يعني أن كل باب يحرسه ألف جندي وثمانية من القادة.

ومن المداخل الأربعة يصل الداخل إلى رحبات مربعة تقسم الفصيل الثاني إلى أربع مناطق ويبلغ اتساع هذا الفصيل ٢٥ ذراعاً يدور حول السور الثاني من الداخل، يفصل بين السور الثاني والمنطقة السكنية، تؤدي الرحبات إلى ممرات اتساع كل ممر ١٥ ذراعاً وطوله ٢٠٠ ذراعاً وعلى جانبي كل ممر مجموعة من الطاقات عددها ٥٣ طاقة في كل جانب وخلف كل طاقة غرفة للجند والتي ذكرناها سابقاً، وتنتهي الطاقات في الجانب الداخلي برحبات مربعة مماثلة لسابقتها تقسم الفصيل الثالث إلى أربعة أقسام تنتهي كل رحبة عند باب من أبواب السور الثالث.

المنطقة السكنية:

تقع بين الفصيلين الثاني والثالث وقد قسمت إلى شوارع رأسية تمتد بين الفصيلين حيث أمر المنصور بسكناها من قبل خواصه ومن يثق بهم من قواده ومواليه.

السور الثالث:

يحيط بالرحبة المركزية ويفصل بين مساكن القادة والموالي وبين المنطقة المركزية للمدينة

المنطقة المركزية:

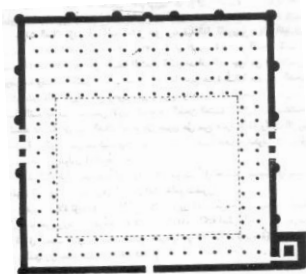
تتكون من رحبة مكشوفة تحيط بالقصر والمسجد بنيت في أطرافها دواوين الحكم المختلفة تليها قصور أولاد المنصور ثم قصر المنصور ومسجده في المنتصف.

الأصول المعمارية لمدينة بغداد:

تعتبر مدينة المنصور إحدى أعظم تخطيط المدن بشكلها المعروف ويغلب أن الشكل الدائري للمدينة كان معروفاً في عمارة المدن العراقية قبل الإسلام كما في التحصينات الآشورية المختلفة وفي تخطيط مدينة الحضر، ومدينة قطيسفون ومدينة تخت سليمان.

مسجد المنصور ببغداد:

بدأ بنائه واكتمل مع بداية بناء بغداد سنة ١٤٥هـ، والانتهاه منها سنة ١٤٩هـ، وقام المنصور باختيار موقعه وسط بغداد بجوار قصر المنصور



المعروف بدار الذهب ليكون مركز المدينة ومحورها، وعهد بتخطيطه إلى الحجاج بن أرطاة، حيث استمر بناء كل من المدينة والمسجد حوالي أربع سنوات، وقد اندثر المسجد وعفت آثاره العتيقة غير أنه ومن خلال ما ذكره المؤرخين عن المدينة وآثارها ومن خلال معاينة بقاياها الأثرية يمكن الاستدلال على تخطيطه ومراحل بنائه:

المرحلة الأولى:

تمثل مرحلة البناء في عهد المنصور، وكان تخطيط المسجد فيها مربع الشكل طول كل ضلع من أضلاعه ٢٠٠ ذراع (١٠٠م)، وكان مكوناً من صحن مكشوف محاط بأربع ظلات: المقدم ويشغل ثلث مساحة المسجد مكون من خمسة أساكيب بواسطة خمس بوائك بكل بائكة ١٦ سارية من الخشب مصنوعة من قطعة واحدة وأكثر وصلت ببعضها بالغراء وضبات من الحديد، تتقاطع معها ١٧ بلاطة، فيما تتكون ظلة المؤخر من أسكوبين مماثلين لأساكيب المقدم من حيث عدد السواري في كل بائكة، ويتكون كل من الجناحين الشرقي والغربي من بلاطتين عموديتين على كل من المقدم والمؤخر بواسطة بائكتين من السواري في كل بائكة ٩ سواري خشبية.

بنيت جدران المسجد بواسطة قوالب الطين اللبن ودعمت بأبراج نصف دائرية في الأضلاع وثلاثة أرباع الدائرة في الأركان، يتوسط جدار القبلة محراب مجوف محاط بمقصورة خاصة للخليفة، فيما شغل منتصف كل من الجدارين الشرقي والغربي بباب ذو ثلاث فتحات، وشغل منتصف جدار المؤخر بباب ذو فتحة واحدة، وكانت للمسجد مئذنة تقع في الركن الشمالي الغربي

المرحلة الثانية:

يذكر المؤرخون أن الخليفة العباسي هارون الرشيد أعاد بناء المسجد سنة ١٩٢هـ ولعله أعاده على بنائه الأصلي حيث لم تذكر المصادر أنه زاد في مساحته، لكنه غير مادة بنائه إلى مادة أقوى وأصلب من الطين اللبن، حيث بني بقوالب الآجر والجص، كما أنه من المرجح عمل الرشيد منبر جديد للمسجد، وكان من النوع المتحرك يتم حفظه بعد انتهاء الخطبة في غرفة مجاورة للمحراب، وظل في المسجد حتى نقل إلى مسجد براكا في القرن ٤هـ.

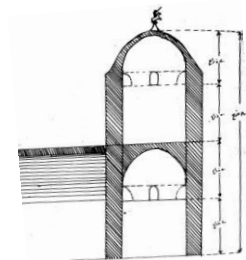
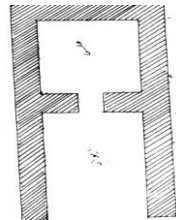
المرحلة الثالثة:

في سنة ٢٦٠هـ أضيفت له الدار المعروفة بدار القطان لكن أهم الزيادات على المسجد تمت في عهد الخليفة المعتضد بالله العباسي سنة ٢٨٠هـ حيث قام باقتطاع جزء لبناء صحن وظلة جديدة خلف جدار القبلة الأول وأزيل جدار صف من الدعائم المستطيلة الشكل تفصل بين الصحن الجديد وبذلك فأصبح للسجد صحنان، ونقل المحراب والمنبر إلى جدار

الجديدة.

قصر المنصور:

من قصر المنصور القبلة القديم وحل محله وظلة القبلة الأولى، القبلة من الظلة



يعرف أيضاً بدار الذهب أو قصر باب الذهب أو قصر الذهب، كما عرف باسم القبلة الخضراء، يتكون من مساحة مربعة الشكل طول ضلعه ٤٠٠ ذراع (٢٠٠م) يقع بجوار جدار القبلة من مسجد المنصور في مركز المدينة، ويتوسط جدرانه الأربعة أربعة أبواب تقابل أبواب المدينة الربعة، ويتوسط القصر إيوان الاستقبال أوقاعة الخليفة، يتصدره مجلس الخليفة مغطى بقبة،

وفوق المجلس في الطابق العلوي مجلس مماثل مغطى بقبة كبيرة، عرفت باسم القبة الخضراء، كان يعلوها تمثال يدور مع الريح، والقبة محمولة فوق سلسلة من العقود.

ومن المرجح أن القصر بني بقوالب الآجر واستخدم الذهب في زخرفة أبوابه، وكسيت أرضيته وجدرانه ببلاطات من الخزف، كما كسيت قبة من الداخل ببلاطات من الخزف الأزرق.

وقد أضاف إليه المأمون جناحاً خاصاً وبني حوله ميداناً، ورغم ذلك فقد دب الخراب إليه منذ سنة ١٩٨ هـ عندما هجر المعتصم العاصمة بغداد وبني لنفسه مدينة جديدة هي مدينة سامراء، ورغم هجره فقد ظلت قبة صامدة حتى سقطت قمتها سنة ٣٢٩ هـ وسقطت كلياً سنة ٦٥٤ هـ.

٢- مدينة سامراء:

تقع سامراء على الضفة الشرقية لنهر دجلة على مسافة ١٢٠ كم شمال بغداد، أمر ببنائها الخليفة العباسي المعتصم بالله سنة ٢٢١ هـ/ ٨٣٥ م واتخذها عاصمة للخلافة بدلاً عن بغداد التي كثرت المشاكل فيها بين العرب والأتراك، وبلغت أوج ازدهارها في عهد الخليفة المتوكل على الله (٢٢٢-٢٤٧ هـ) ثم هجرت منذ عهد الخليفة المعتمد على الله سنة ٢٧٩ هـ الذي أعاد مقر الخلافة إلى بغداد، وكان ذلك إيذاناً بخرابها رغم محاولات الخليفة المكتفي بالله سنة ٢٩٠ هـ تجديدها وخاصة قصر المعتصم المعروف بالجوسق الخاقاني، حيث نزح سكانها منها إلى بغداد ونقضت الكثير من أبنيتها وحملت إلى بغداد لعمارة أبنيتها

وقد احتوت سامراء على جميع مستلزمات المدينة من قصور ومقرات للحكم وثكنات للجند ومساكن وأسواق ومساجد ومدارس.. الخ، ومن أمثلتها: مسجد سامراء ومسجد أبي دلف وقصر الجوسق الخاقاني وقصر المتوكل وأومدينة المتوكلية والجعفرية اللتان تعدان امتداداً لمخطط سامراء، وقصر المعتمد المعروف بقصر المعشوق، فضلاً عن القباب الضريحية.

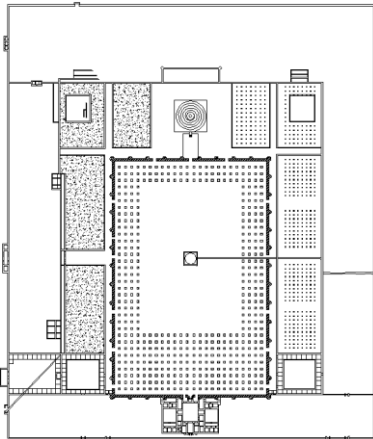
وترجع أهمية سامراء إلى كونها لم تسكن طويلاً فقد ظلت كعاصمة للخلافة العباسية حوالي نصف قرن ثم عاد مقر الخلافة إلى بغداد وبالتالي هجرها معظم سكانها وعادوا مع الخليفة إلى بغداد، حيث توقفت حركة العمران في المدينة، كما ترجع أهميتها إلى طرز زخرفتها المعروفة بطرز سامراء الثلاثة وطرز خزفها التي مكنت العلماء من تحديد تاريخ أنواع عدة من الخزف في الفترة بين بنائها وهجرها في القرن ٣ هـ.

جامع سامراء:

بناه المعتصم سنة ٢٢١ هـ وبنا حوله السواق والدور والقطائع وفي عهد المتوكل ضاق المسجد بالمصلين فأمر بإنشاء جامع كبير سنة ٢٣٤ هـ بدلاً عن المسجد الأول وانتهى من بنائه سنة ٢٣٧ هـ، ويعد أكبر المساجد في العالم الإسلامي حيث تبلغ مساحته ٤٥٥٠٠ م^٢، ويحيط بالمسجد زيادات من جميع الجهات محاطة بجدران خارجية مبنية باللبن بطول ٤٤٤ م من الشمال على الجنوب وعرض ٣٧٦ م دعمت بحوالي ٦٨ برج نصف أسطواني وأربعة أبراج ركنية شبه دائرية، فيما يتكون المسجد نفسه من مساحة مستطيلة طولها ٢٤٠ م وعرضها ١٥٦ م محاطة بجدران من الآجر بارتفاع ١٠،٥ م وسماك ٢ م، دعمت أركانها بأربعة أبراج شبه دائرية ذات قواعد مربعة، ودعمت الجدران بـ ٤٤ برجاً نصف دائري صغير وزعت بواقع ١٢ برج في كل من الجدارين الشرقي والغربي و ٨ أبراج في كل من الجدارين الشمالي والجنوبي، وشغلت أضلاع المسجد بـ ١٥ باب وزعت بواقع ٣ في جدار المؤخر، و ٢ في جدار القبلة على جانبي المحراب يؤديان إلى دار يرجح أنها كانت مخصصة لاستراحة الخليفة قبل الصلاة و ٥ في كل من الجدارين الشرقي والغربي، ويعلوكل باب منها نافذة صغيرة متوجة بعقد مدبب، وقد زين القسم العلوي من جدران المسجد بين الأبراج بست دوائر مقعرة يحيط بكل منها إطار مربع،

وقد ميز جدار القبلة بفتح ٢٤ نافذة زينت من الداخل بعقود خماسية الفصوص تستند على أعمدة متصلة بالجدار.

تخطيط المسجد:



معظم أجزاء المسجد مندثرة وخصوصاً تقسيماته الداخلية لكن من خلال الحفريات تبين أن المسجد كان يتكون من: صحن مكشوف تتوسطه نافورة مكنة من قطعة واحدة من الحجر، ويحيط بالصحن أربع ظلات أكبرها ظلة المقدم قسمت من الداخل إلى سبعة أساكيب موازية تتقاطع مع ٢٥ بلاطة أوسعها البلاطة الوسطى، وبطل المقدم على الصحن ب ١٧ بلاطة، فيما يتكون كل من الجناحين الشرقي والغربي من ٤ بلاطات تطل على الصحن ب ٢٣ عقداً، ويتكون المؤخر من ٣ أساكيب مماثلة لأساكيب المقدم، وكان السقف محمولاً مباشرة على الأكتاف والدعامات المربعة والمستطيلة والمستديرة والمثمثة زينت نواصيها (أركانها) بأعمدة رخامية.

المحراب والمنبر:

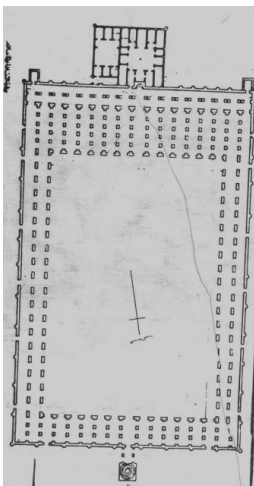
يتوسط جدار القبلة محراب مستطيل الشكل يكتنف حنيته أربعة أعمدة - اثنان في كل جانب - رخامية وردية اللون، فيما زينت الحنية بالفسيفساء والزخارف الجصية، وعلى يمين المحراب كان يقع المنبر الذي لم يعد له وجود وقد أشار ابن تغري بردي أنه كان موجوداً حتى سنة ٣٢٩هـ.

المئذنة:

تعد من المآذن الفريدة في التخطيط والشكل، تقع المئذنة في الزيادة الشمالية خارج جدران المسجد الأصلي، وتتكون من قاعدة وبدن وقمة يبلغ ارتفاعها ٥٠م: تتكون القاعدة من كتلة مربعة مزينة بحنايا صماء وفي ضلعها الجنوبي بقايا سلم صاعد يمتد من حدود جدار المسجد ويدور حول بدن المئذنة الحلزوني الشكل من الخارج خمس دورات بعكس اتجاه عقارب الساعة بحيث ينتهي عند جوسق المكون من أسطوانة مزينة بحنايا صماء شغل ضلعها الجنوبي باب يفضي إلى داخل الجوسق ومنه إلى درج يؤدي إلى قمة المئذنة.

جامع أبي دلف:

يقع في مدينة المتوكلية التي تعد امتداداً طبيعياً لسامراء، أمر ببنائها الخليفة المتوكل على الله على الضفة الشرقية لنهر دجلة وعلى بعد ٢٠ كم من سامراء ووصل الشارع الأعظم الذي يبلغ اتساعه ١٠٠م من سامراء حتى المتوكلية وحفر على جانبي الشارع قناة للماء وزرع جانبي الشارع بالأشجار والمزروعات المتنوعة. وهذا المسجد لا تتصل الأبنية به ولا تحيط به وقد بني القسم الداخلي منه (المسجد) ومئذنته وبعض أبراجه بالآجر بينما بنيت الجدران المحيطة بساحاته وأسواره باللبن، وجميع جدرانه مدعمة بأبراج نصف أسطوانية مجموعها ٣٨ برجاً بالإضافة إلى أربعة أبراج ركنية تقوم جميعها على قواعد مبنية بالآجر، ووزعت بواقع



١٠ أبراج في كل من الجدران الشرقية والغربية والجنوبية، و ٨ أبراج في الجدار الشمالي، ويتخلل جدران المسجد ١٨ مدخل: ٣ في كل من الجدارين الشمالي والجنوبي و ٦ في كل من الجدارين الشرقي والغربي.

تخطيط المسجد:

يتكون المسجد من مساحة مستطيلة الشكل مساحتها الإجمالية ٣٠٠٠٠ م^٢ قسمت من الداخل إلى صحن مكشوف محاط بأربع ظلات أكبرها ظلة المقدم قسمت إلى ٦ أساكيب و ١٧ بلاطة بواسطة أكتاف ودعامات مربعة ومستطيلة وعلى شكل حرف t تحمل عقوداً موازية لجدار القبلة، فيما يتكون كل من الجناحين الشرقي والغربي من مساحة مستطيلة عقسمت بواسطة الدعامات إلى بلاطتين تطل الخارجية منها على الصحن ب ١٩ عقد، وتتكون ظلة المؤخر من ثلاثة أساكيب موازية بحيث تطل على الصحن ب ١٣ عقد، ويزين كوشات عقود الظلات مشكاوات مستطيلة غائرة ومتدرجة، وكانت دعامات المسجد وعقوده تحمل سقفاً خشبياً يبلغ ارتفاعه عن الأرض حوالي ٨ م.

المحراب والمنبر:

يتوسط الجدار الجنوبي محراب مستطيل ذو تصميم غريب حيث تبرز حنيته عن مستوى سطح جدار القبلة من الخارج وصممت بشكل يوحي بأنها مكونة من أكثر من طابق، فيما يشغل ناصيته أعمدة آجرية مندمجة، وعلى يمينه بقايا منبر مبني بالآجر تتقدمه درجتان، ويعد أقدم المنابر في العراق من هذا النوع.

المئذنة والزيادات:



يحيط بالمسجد ساحة مكشوفة مسورة عرفت باسم الزيادات تحتوي على غرف ومرافق مبنية باللبن، كما تحتوي على مئذنة تقع في الزيادة الشمالية مكونة من قاعدة مربعة ارتفاعها عن الأرض ٢٥ م مزينة من الجوانب بحنايا مجوفة تشبه تجويفات كوشات العقود المطلة على الصحن، يقع مدخل المئذنة في الجهة الجنوبية من القاعدة، ويعلو القاعدة بدن أسطواني يدور حوله من الخارج سلم حلزوني بأربع دورات كاملة يبدأ من الجهة الجنوبية ويضيق تدريجياً كلما ارتفع إلى أعلى.

قصور سامراء:

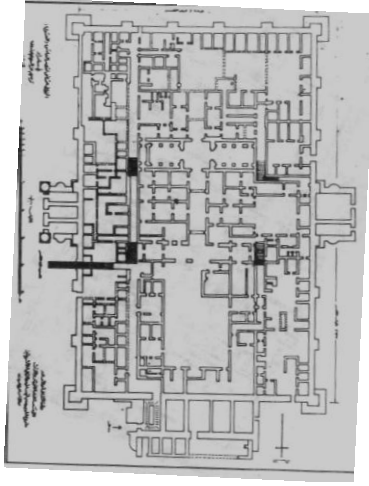
بنيت في سامراء العديد من القصور ومنها: الجوسق الخاقاني والقصر العمري والقصر الوزيري وقصر الجص والقصر الهاروني وقصر بلكوارا والقصر الجعفري وقصر المعشوق، وقد اندثرت معظم تلك القصور وما بقي منها سوى أطلال أظهرت الحفريات معظم أجزائها، على أن أشهر القصور هي: الجوسق الخاقاني وقصر بلكوارا وقصر المعشوق.

قصر المعشوق:

تقع أطلال هذا القصر على ربوة عالية مكونة من عدد من التلال المتجاورة على بعد ١٥ كم شمال سامراء على الضفة الغربية لنهر دجلة، بناه أبو الحسن علي بن يحيى المنجم للخليفة المعتمد على الله فيما بين سنة ٢٦٣ هـ - ٢٦٩ هـ، وقد سكنه الخليفة المعتمد قبيل عودته إلى بغداد وهجران سامراء.

قبل البدء بالبناء سويت الأرض ومن ثم بناء مسطبة ارتفاعها مساو لارتفاع قمم التلال التي بني القصر فوقها فيما حولت المساحات بين التلال إلى سراديب ومرافق تم استغلالها من قبل ساكني القصر، وبنيت جدران القصر باللبن والآجر والجص والخشب وطلبت بعض الجدران بالقار كمادة مانعة للرطوبة.

تخطيط القصر:

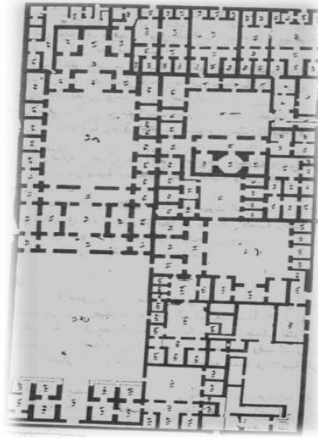


يتكون القصر من مساحة مستطيلة الشكل طول ضلعه ١٣٦م وعرضه ٩٠م تحيط به ساحة مسورة بسور تحتوي على عدد من الملحقات والأبنية. يضم القصر عدداً من الأبنية والوحدات البنائية تهدم معظمها، قسمت الوحدات البنائية إلى عدد من اغرف والقاعات المطلة على باحات وسطية أو ترتبط بها بأبواب ومداخل، ويلاحظ أن تقسيم القصر تم وفق التقسيم الشائع وهو التقسيم الثلاثي.

وتحيط بالقصر جدران سميكة مدعمة بأبراج: أبراج الأركان دائرية وأبراج الأضلاع - وعددها ٦ في كل من الضلعين الشرقي والغربي و ٤ في الضلع الجنوبي فيما يخلو الضلع الشمالي من الأبراج - صغيرة، وزينت المساحة بين كل برجين بثلاث حنايا صماء متوجة بعقود مفصصة ترتكز على أعمدة مندمجة نصف اسطوانية.

وللقصر مدخلان رئيسيان يقعان في الضلع الشمالي يقع الأول قرب الطرف الشرقي من الواجهة والآخر في الطرف الغربي، فضلاً عن عدد من المداخل الأخرى.

بيوت سامراء:



كشفت الحفريات في سامراء عدداً من البيوت السكنية التي بنيت في الغالب باللبن أو الآجر أوبهما معاً بالإضافة إلى الجص في التكسية والأخشاب في التسقيف، وتتكون المنازل في الغالب من طابق واحد وتتكون من مدخل ذودهليز يفضي إلى صحن مكشوف في نهايته قاعة رئيسية كبيرة، تكتنفها غرفة صغيرة

من الجانبين، واحتوت بعض البيوت على صحنين أحدهما خصص لاستقبال الرجال والآخر للحريم، وهناك بيوت مكونة من مسكنين على جانبي صحن واحد وفي هذه الحالة يخصص أحد المسكنين للشتاء والآخر للصيف، وفي الغالب يشغل الجوانب الأخرى من الصحن عدد من المرافق كالمخازن والمطابخ.. الخ.

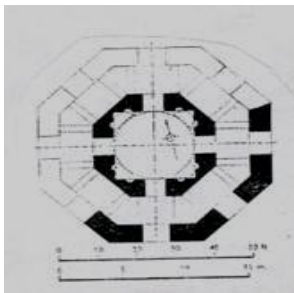
كما تحتوي معظم بيوت سامراء على صحن جانبي أو أكثر تحيط به غرف صغيرة للخرن وحمامات والآبار ومجري، وقد يزيد عدد غرف بعض البيوت عن ٥٠ غرفة.

وقد وجد أن غرف الدار كانت مؤزرة بالزخارف الجصية الجميلة بطرزها المختلفة حتى ارتفاع يزيد عن المتر وقد تحيط الزخارف بفتحات الأبواب والنوافذ والدخلات والحافات العليا من الجدران، كما زينت بعض الجدران بالزخارف الملونة قوامها عناصر نباتية وهندسية وأدمية وحيوانية وطيور وكتابات.

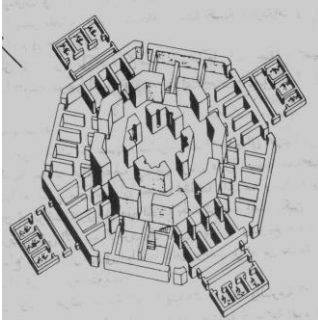
وقد بينت الدراسة التحليلية لتخطيط البيوت تأثرها بالتخطيط الحيري المكون من إيوان تحيط به عدد من الغرف تعتمد على مبدأ التناظر (التماثل والتقابل) ويرجع سبب شيوع هذا الطراز كما ذكر المسعودي إلى إعجاب الخليفة المتوكل على الله بهذا الطراز.

ب- العمارة الجنائزية:

تعد قبة الصليبية من الآثار العباسية المهمة نظراً لفرداة تخطيطها الشبيه بقبة الصخرة ووظيفتها كضريح والذي أصبح منذ ذاك أساساً لبناء معظم أضرحة العراق. تقع قبة الصليبية على الضفة الغربية لنهر دجلة جنوب قصر المعشوق، وقد



اختلفت الآراء حول تسميتها بهذا الاسم فقيل إنها سميت بالصليبية تحريفاً لكلمة السليبية وتعني الأم التي فقدت وحيدها.



وقد بنتها أم الخليفة المنتصر كضريح لابنها الذي مات مسموماً سنة ٢٤٨هـ، ودفن إلى جواره عدد من الخلفاء منهم المعتز بالله ٢٥٥هـ، والمهتدي ٢٥٦هـ واستدل العلماء على ذلك بوجود ثلاثة شواهد على القبور الثلاثة والتي تؤكد الغرض من بنائها.

تتكون القبة من ثلاثة مثنات يتصل الخارجي منها بالأوسط بعدد من الحجرات الموزعة فيما بين المثنين، ويفصل بين المثن الأوسط والمثن الداخلي ممر

عرضه ٢,٥م، وقد فتحت في المثن الخارجي ثمانية مداخل قرب أركان المثن تقضي إلى الحجرات الموجودة بين المثنين، فيما فتح في المثن الأوسط ثمان فتحات بواقع فتحة في كل ضلع من أضلاعها، وفتح في المثن الداخلي أربعة مداخل محورية، ويحيط المثن الداخلي بغرفة مربعة، حول المربع من أعلى إلى مثن بواسطة أربع حنايا ركنية مفردة كانت تستند عليها قبة الضريح التي لم يعد لها وجود، ومن المرجح أن سقف الممر بين المثنين كان على هيئة قبونصف أسطواني أما السقف الحالي وهو مسطح فمن عمل هيئة الآثار.

ج- عمارة القصور:

تناولنا في الصفحات السابقة عمارة أهم القصور في أهم مدينتين عباسيتين، وهناك قصور عباسية أخرى بنيت في البوادي على غرار القصور الأموية، ومن أهمها:

قصر الأخضر:

يقع في الصحراء قرب وادي البيض على بعد ١٢٠ كم جنوب غرب بغداد، و ٥٠ كم جنوب غرب كربلاء، وقد بني القصر بالحجارة والجص وقليل من الآجر وجذوع الأشجار التي استخدمت للتقوية بين طبقات البناء.

تاريخ البناء:

وتاريخه على حد ما مجهول لخلوه تماماً من الكتابات التي تؤرخ له، كما أن المصادر التاريخية لم تذكر تاريخ بنائه، ولذلك يرجعه بعض الباحثين إلى اللخمين في منتصف القرن ٦م أي قبيل الإسلام، ومنهم من نسبته إلى الساسانيين في الربع الأخير من القرن ٦م، ومنهم من نسبته إلى أحد أمراء كندة في النصف الأول من القرن ٧م.

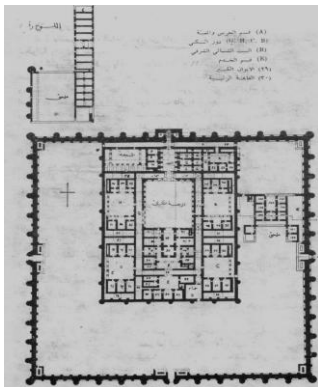


وكما اختلف في تاريخه من نسبه إلى عصر ما قبل الإسلام اختلف من نسبه إلى العصر الإسلامي فهناك من يرى أنه يعود إلى العصر

الأموي، ومنهم من يرى أنه يعود إلى العباسي، والأرجح أنه يعود إلى النصف العباسي وتحديداً النصف الثاني من القرن ٨/٨هـ، وأنه كان عبارة عن دار إمارة كما يظهر من تخطيطه وتقسيماته الداخلية.

الوصف المعماري:

أثبتت الصور الجوية أن القصر محاط بمنطقة سكنية واسعة كشفت البعثة الألمانية عن بعضها سنة ١٩٧٤م وعثرت على مسجد وبقايا محراب، وكشفت دائرة الآثار عن مجموعة من بيوت السكن أمام القصر.



يتكون القصر من مبنى مستطيل ذو أفنية ومجموعات سكنية، محاط بسورين داخلي من الحجر وخارجي من اللبن، وفي الجهة الشرقية بين القصر والسور الداخلي مبنى من طابق واحد يحتمل أنه أضيف بعد الانتهاء من بناء القصر، كما يحتوي القصر على ملحق في الجهة الشمالية الغربية خارج أسوار القصر.

الأسوار:

يحيط بالقصر وسوره الداخلي سور من اللبن تتفاوت أضلاعه في الطول ودعمت جدرانه بأبراج نصف أسطوانية، في حين بني السور الداخلي من الحجر على شكل مستطيل أبعاده ١٦٩×١٧٥م وارتفاعه ١٨م وسمكه ٤،٥م مدعم بأبراج أسطوانية في الأركان قطر كل منها ٥م، ونصف أسطوانية في الأضلاع موزعة بواقع ١٠ أبراج في كل ضلع من أضلاعه الأربعة، ويتخلل جدران السور بين الأبراج عقود نصف دائرية بارزة عن الجدار بواقع عقدين بين كل برج وآخر، ويتوسط كل عقد منها فتحات أفقية (مزاغل)، وزينت الواجهة الداخلية للسور بأقواس متشابهة.

وقد بني السور بشكل مصمت حتى مستوى الأقواس ثم يعلو السور فوق مستوى الأقواس ممر عرضه ٢م وارتفاعه ٥م كان مغطى بقبوة، وهذا الممر يدور حول السور كله من أعلى لسهولة تنقل الجند للمراقبة والدفاع، كما احتوت الأجزاء العليا من الأبراج على غرف للجند، ويتم الوصول إلى الممر المذكور من خلال سلالم مغطاة بأقنية تقع في زوايا السور من الداخل.

ويشغل منتصف جدران السور أربعة مداخل محورية متشابهة وكلها تؤدي إلى الساحات المكشوفة المحيطة بالقصر عدا المدخل الشمالي (الرئيسي) المتصل ببناء القصر فيؤدي إلى ممر ثم إلى باب القصر الداخلي، وجميع المداخل مزودة ببعض التحصينات الدفاعية كالوابواب المنزقة والمزاغل الأفقية.. الخ.

المدخل الرئيس والبهو:



يقع في الجهة الشمالية من السور يكتنفه برجان مستطيلان من الجانبين ويلي الباب على الجانبين من الداخل فراغ رأسي يدل على مكان الباب المنزلق، يفضي الباب إلى ممر مغطى بقبوة على شكل سبعة عقود تتخللها فتحات تستخدم كمزاغل وسقاطات لإلقاء السوائل الحارقة على المهاجمين،

وعلى كل من جانبي الممر غرفة صغيرة للجند، وينتهي الممر عند ساحة مستطيلة مغطاة حولت بواسطة أقواس ضحلة إلى مربع غطي بقبة مضلعة، وعلى يمين ويسار الساحة دهليز يفصل بين السور والجدار الداخلي للقصر القسم الأيمن من الدهليز يؤدي إلى المسجد والأيسر إلى دار المضيف الملحق، وتنتهي الساحة من الجهة الجنوبية عند باب يفضي إلى البهو الذي يتكون من مساحة مستطيلة ارتفاعها يعادل ارتفاع طابقي القصر، يكتنفه من الجانبين الطويلين خمسة تجويفات ذات عقود مدببة فتحت فيها أبواب تؤدي إلى غرف وإلى سلالم مؤدية إلى الطابق الأعلى.

المسجد:

يقع في الركن الشمالي الغربي من القصر وهو مكون من صحن مكشوف محاط بثلاث ظلات من الجهات الشرقية والغربية والجنوبية أكبرها الظلة الجنوبية - ظلة المقدم - التي تفتح على الصحن بخمسة عقود موازية، أما الظلتان الجانبيتان فتفتح كل منهما على الصحن بثلاثة عقود، وغطي المسجد بأقنية بسيطة خالية من الزخارف في الظلتان الجانبيتان في حين زخرفت أقنية المقدم بزخارف جصية متنوعة قوامها معينات ودوائر وأشطرة زخرفية، ويتوسط الجدار الجنوبي للمسجد محراب مجوف.

المضيف:

في القسم الشرقي من الدهليز الذي يفصل بين القصر والسور الداخلي باب يؤدي إلى دار كبيرة عرفت باسم المضيف وتتكون من صحن محاط بغرف موزعة على ثلاثة طوابق.

الرحبة الكبرى وقاعة العرش:

تتكون من ساحة مكشوفة مستطيلة الشكل زينت جدرانها الداخلية بحنايا معقودة تستند عقودها على دعائم مندمجة بالجدران عددها سبع في كل من الجدارين الشمالي والجنوبي وتوسع في كل من الجدارين الشرقي والغربي، ويتخلل الجدران المحيطة بالساحة من أعلى شبابيك لإضاءة الدهليز الواقع خلفها والذي يحيط بالمنطقة المركزية من القصر.

وبلي الرحبة من الجهة الجنوبية قاعة عرش مكونة من إيوان كبير مستطيل مغطى بقبومن الآجر تتصل به من الجانبين أربع غرف مقبية وفي الجهة الجنوبية من الإيوان باب يؤدي إلى قاعات ملحقة.

البيوت الأربعة:

شغلت أضلاع القصر الطويلة مما يلي الدهليز بأربعة بيوت مستقلة متماثلة في التخطيط تتقابل كل بيتين منها مع بعضها يؤدي إلى كل منها باب واحد من الدهليز، يتكون كل بيت منها من صحن مربع مكشوف على جانبيه مجموعة من الغرف تكون مجموعتان كل مجموعة منها تضم إيوان أوسط وغرفتان جانبيتان ويتقدم كل مجموعة ظلة.

الحمام:

يقع في الطرف الجنوبي الشرقي لسور القصر بنيت جدرانه بالآجر وكسيت بملاط من النورة، تخطيطه مربع الشكل يتم الوصول إليه عبر باب يفتح على الدهليز الكبير، يتكون من أربع غرف وحوضين للماء وموقد.

ملحقات القصر:

يحتوي القصر على ملحقين:

الأول: يقع داخل سور القصر فيما بينه وبين السور الداخلي ويعرف باسم دار الأمير، وتخطيطه يشبه تخطيط قاعة العرش، وقد غطت جميع وحداته بالأقبية التي تظهر من الداخل بينما تظهر من أعلى بشكل مسطح.

الثاني: يقع قرب الزاوية الشمالية الغربية من القصر خارج سور الرئيسي ويبعد عنه حوالي ١٣م، ويتكون من صحن كبير يكتنفه من الشرق خمس غرف مغطاة بأقبية نصف أسطوانية وفي الجهة الغربية منه جدار يمتد بامتداد الجدار الغربي لسور القصر مدعم بأربعة أبراج، وعلى الشمال من الغرف الخمس السابقة ثمان غرف أخرى متصلة بها لكل منها باب في الجهة الشرقية وآخر على الجهة الغربية، ويبدو من شكل هذا الملحق أنه كان مخصصاً كتكنة إضافية للجند.

د- عمارة المدارس:

قام المسجد منذ نشأته بالعديد من الوظائف- إلى جانب وظيفته الأساسية وهي إقامة الصلاة فيه- فكان يمثل: داراً للقضاء، ومقراً للحكومة، وداراً للتعليم، يلتقي بين جوانبه المعلمون والمتعلمون ليتدارسوا أمور دينهم اقتداءً برسول الله ﷺ الذي كان يجلس في مسجده النبوي ليعلم الناس أمور دينهم ودنياهم، وبعد وفاته ﷺ انتشر الصحابة والتابعين في أرجاء الأرض يجلسون في مساجد الأمصار ويلتف حولهم المسلمون لينهلوا من علوم

القرآن والحديث والفقه والسيرة وأحكام الدين، فضلاً عن اتخاذ بعض الصحابة والتابعين لبعض دورهم كأماكن لنشر العلم ومنهم عبد الله بن عباس الذي اتخذ من منزله بالطائف مكاناً لإلقاء الدروس، فكان ذلك بداية ظهور فكرة اتخاذ الدور والقصور للتدريس، ومع ازدياد أعداد الداخلين في الإسلام واتساع رقعة الدولة الإسلامية وارتقاء نظمها وتطور حضارتها جاءت الحاجة إلى إنشاء مؤسسات خاصة تخفف الحمل الثقيل عن المسجد فظهرت بيوت الإمارة ودور القضاء ومكاتب الأيتام ثم تلا ذلك ظهور مؤسسات ثقافية أكبر ومنها بيوت الحكمة في العصر العباسي ودور العلم في العصر الفاطمي بالإضافة إلى دور القرآن والحديث وزوايا العلم، وقد مهد ذلك لظهور مؤسسة تعليمية متخصصة ومنفصلة عن المسجد تمثلت في المدرسة، وكانت أول مدرسة بمعناها اللفظي والمعماري قد ظهرت في العالم الإسلامي سنة ٣٤٥هـ عندما بنى الإمام أبوحاتم البستي مدرسته في بلدته بست، وتلتها المدرسة التي شيدها الشافعيون في نيسابور للإمام النيسابوري سنة ٣٤٩هـ، ثم توالى إنشاء المدارس بعد ذلك في مختلف أقاليم الدولة لعباسية، على أن أهم مدرستين في العصر العباسي هما المدرسة المستنصرية ومدرسة الشرايبة وهما متشابهتان من حيث التخطيط والزخارف المعمارية والفنية ولذلك سوف نكتفي بوصف إحداهما:

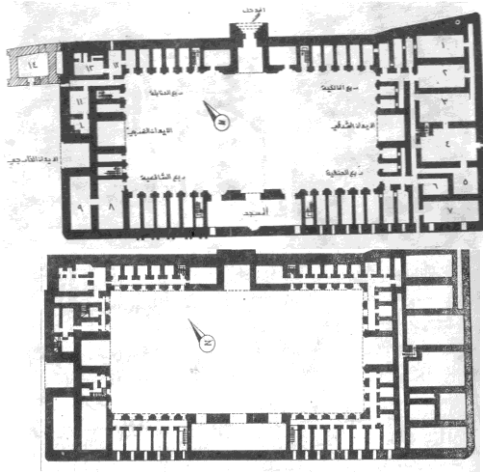


المدرسة المستنصرية:

تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة، بناها الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة ٦٢٥-٦٣٠هـ/١٢٢٧-١٢٣٢م كما هو مسجل على نص تأسيسي على مدخل المدرسة، وتم افتتاحها سنة ٦٣١هـ/١٢٣٣م.

ويعتبر بنائها تطوراً مهماً في تاريخ بناء المدارس الإسلامية، حيث كانت المدارس قبلها تخصص كل واحدة لتدريس مذهب واحد، في حين درست في هذه المدرسة المذاهب الأربعة المشهورة كما هو مثبت على نص المدخل السابق ذكره.

تخطيط المدرسة:



تتكون المدرسة من مساحة مستطيلة مساحتها الكلية ٨٣٦م^٢، يتوسطها صحن مستطيل مبلط بالأجر تتوسطه بركة يصلها الماء عبر قناة من نهر دجلة، وتحيط بالصحن مرافق المدرسة الأخرى المكونة من: ثلاثة إيوانات اثنان منهما يتوسطان الضلعين الشرقي والغربي من الصحن وإيوان ثالث في الجهة الغربية يفتح على الخارج، فيما يشغل منتصف الضلع الجنوبي مسجد والضلع الشمالي المدخل الرئيسي وما بينها حجرات وغرف وقاعات كبيرة ومصلّى ودهاليز وأروقة وعدد من المداخل الفرعية.

المدخل:

يقع المدخل الرئيس في منتصف الضلع الشمالي ويتميز بارتفاع واجهته عن باقي أجزاء المدرسة وبروزه عن مستوى الجدار (مدخل تذكاري بارز)، يشغل نصفه العلوي نص تأسيسي تسجل تاريخ البناء ووظيفة المدرسة، يفضي المدخل إلى دهليز على هيئة إيوان.

المسجد:

يقابل المدخل في الضلع الجنوبي مسجد المدرسة الذي يطل على الصحن بثلاثة عقود تتناظر وتماثل العقود

الثلاثة التي تتوج إيوان المدخل والحجرتين المجاورتين له، يتوسط جدار القبلة محراب مجوف تكتنفه نافذتان وكان المسجد مغطى بأقبية كغيره من أجزاء المدرسة وحالياً بأسقف مسطحة.

الأواوين والقاعات:

غطيت الأواوين الثلاثة بأقبية مدبية ترتفع عقودها المطلة على الصحن عن مستوى ارتفاع جدران المدرسة، فيما تضم المدرسة عشر قاعات كبيرة مخصصة للمحاضرات والدروس، ترتفع سقفها المقبية بارتفاع الطابقين، وتتوسطها من أعلى فتحات مستطيلة أو مربعة للإضاءة والتهوية، ويتقدم القاعات في الجهة الشرقية دهليز كبير ارتفاعه بارتفاع طابقي المدرسة مغطى بقبوتتخلله أربع فتحات للتهوية والإضاءة، وتفتح على هذا الدهليز أبواب القاعات، ويشغل جدار الدهليز الشرقي باب يفضي إلى سلم ينتهي عند خلوة صغيرة تطل على إحدى القاعات الكبيرة كان يجلس فيها الخليفة عند رغبته في سماع المحاضرات.

حجرات السكن:

يشغل المساحات بين الإيوانات طابقان يضمنان تسع وثلاثين غرفة وحجرة صغيرة في كل طابق يتم الوصول إليها عبر سلالم موزعة بين الغرف والحجرات وتتقدم غرف الطابق العلوي أروقة ذات عقود مدبية تستند على سلسلة من الأكتاف المبنية بالآجر، وهذه الغرف والحجرات مخصصة لسكنى الطلاب والمدرسين وناظر المدرسة والعاملين بها ومخازن للكتب التي كان يزيد عددها على ٨٠٠٠٠ ألف مجلد، بالإضافة إلى المطبخ والحمام والمرافق الأخرى.

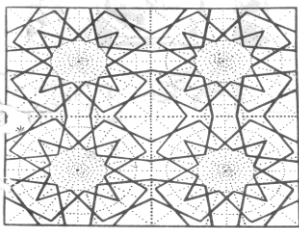
دار القرآن ودار الحديث:

تحتوي المدرسة على إيوان مخصص لتحفيظ وتعليم القرآن الكريم وهو الإيوان الغربي الذي يفتح على الخارج، كما اشتملت على دار للحديث من المرجح أنها كانت تقع في صحن دار الكتب.

دار الشفاء:

احتوت المدرسة على دار للشفاء كان يقع أمام المدرسة في إيوان عرف بإيوان الساعة والذي بني سنة ٦٣٣هـ وكان يضم طبيباً لمرضى المدرسة من طلاب ومدرسين وعاملين، وسمي بإيوان الساعة لأنه كان يحتوي على ساعة عجيبة مندرجة.

العناصر المعمارية والزخرفية:



من الملاحظ خلوالمدرسة من الأعمدة وإنما حملت أسقفها وأروقته على أكتاف مبنية بالآجر وهي المادة الوحيدة التي بنيت بها المدرسة كلها، وقد زينت المدرسة بأنواع عدة من الزخارف الكتابية والهندسية والنباتية قوامها كتابات بالخط الثلث منقذة على أرضية من الزخارف النباتية المحفورة حفرًا دقيقاً، فضلاً عن زخارف نباتية أخرى لمراوح نخيلية وزهرات كأسية وعناصر هندسية متنوعة تضم دوائر وأطباق نجمية ومضلعة ونجوم وعقود مفصصة.

الوحدة الخامسة: العمارة في العصر الفاطمي:

قامت دولة الفاطميين في المغرب الإسلامي، ثم وفي عهد الخليفة الرابع المعز لدين الله الفاطمي وجهت أبصارها صوب مصر فاستولت عليها سنة ٣٥٧هـ بقيادة جوهر الصقلي الذي عسكر بقواته شمال الفسطاط في سهل رملي خال من البناء فيما عدا بستان كافور الإخشيدي وحصن صغير يسمى قصر الشوك ودير مسيحي

يعرف بدير العظام الذي حل محله جامع الأقمر بعد ذلك، وقد اتخذ جوهر الصقلي هذا السهل موقع بعد الفتح موقعاً لبناء مدينة القاهرة كعاصمة للدولة الفاطمية التي انتقلت إليها بعد إكمال البناء.

وكان بنائها يهدف لتحقيق عدة أغراض منها:

غرض حربي: كحصن لسكن الخليفة وحامية لجنده، ولذلك زودها إلى جانب الأسوار بخندق من الجهة الشمالية عمقه ٥م واتساعه ٥م.

غرض ملكي: لتكون مدينة خلافة ولذلك زودها بعدد من القصور ليكون الخليفة وأصحابه وأحفاده بمعزل عن مساكن العامة في الفسطاط.

١ - تخطيط القاهرة:

أول ما بدء به تقسيم الموقع إلى أربعة أقسام بواسطة أربعة شوارع يتوسطها قصران كبيران للخليفة وهما القصر الشرقي الكبير والقصر الغربي الصغير، وقسم المدينة إلى حارات مخصصة لسكن الجند والقادة وكل منها عرف باسم جنسية ساكنيها فهناك حارة الروم البرانية والجوانية، وحارة البرقوقية، وحارة الديلم، وحارة برجوان مربي الخليفة الحاكم... الخ.

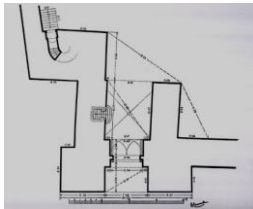
وبداخل المدينة على مقربة من القصر الشرقي الكبير شيد جوهر الصقي المسجد الجامع المعروف باسم جامع الأزهر ليكون المسجد الرسمي لمدينة القاهرة، كما بنى عدداً من المنشآت الخدمية كدار الضيافة ودار السكة ودار الحكمة... الخ.

٢ - العمارة الحربية:

ثم شرع جوهر بإحاطة القاهرة بسور على هيئة مربع طول ضلعه ١٢٠٠م، وكان السور مبنياً من اللبن وسمك ٢،٥م. وفتح فيه ثمانية أبواب: بابان جنوبيان هما: باب زويلة وباب الفرج، وبابان شرقيان هما باب البرقية (باب التوفيق)، وباب القراطين (الباب المحروق)، وبابان شماليان هما باب النصر وباب الفتوح، وبابان غربيان هما باب القنطرة وباب سعادة.

ولم تعمر أسوار جوهر الصقلي أكثر من ثمانين سنة حيث تهدمت معظم أجزائه في عهد الخليفة المستنصر بالله فقام وزيره بدر الجمالي بنائها وأدخل الأحياء الجديدة التي بنيت خارج السور في الجهتين الشمالية والجنوبية، وبذلك زاد من مساحة المدينة وغير مادة البناء من اللبن إلى الحجر المنحوت المصقول، وبقي منها حالياً أربعة أبواب هي: باب النصر وباب الفتوح وباب زويلة وباب التوفيق.

باب النصر:

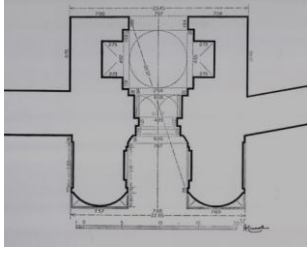


يتكون من كتلة ضخمة من البناء عرضها ٢٤،٢٢م، وعمقها ٢٠م وارتفاعها ٢٥م، تتوسطه فتحة مدخل يكتنفها برجان ضخمان مربعان مصمتان من أسفل حتى ارتفاع ثلثي البرج يعلوه بعد ذلك حجرة دفاعية مغطاة قبة ضحلة، يفضي المدخل

المتوج بعقد نصف دائري - والذي يغلق عليه باب خشبي سميك من مصراعين مغطيان بأشرطة من الحديد مثبتة بمسامير حديدية - إلى رحة واسعة مربعة مغطاة بقبو متقاطع شغل بسقاطات على هيئة فتحات مربعة في أرضية الحجرة التي تعلو المدخل، يفضي المدخل إلى ساحة مكشوفة على يمينها سلم مغطى بقبو يصعد إلى الحجرة العلوية فوق المدخل.

باب الفتوح:

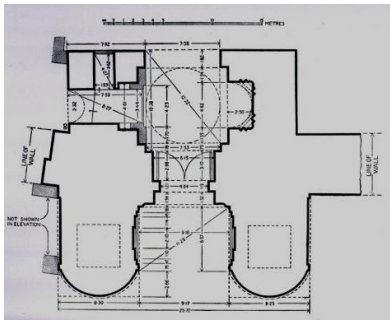
يعود تاريخ بنائه إلى سنة ٤٨٠هـ على يد بدر الجمالي ويقع غرب باب النصر على بعد ١٥٠م، وكان



يعرف باسم باب الإقبال كما ورد على النص التأسيسي علي يسار المدخل. بني الباب من الحجر النحيت وهو مكون من برجين مستديرين مصمتتان حتى ارتفاع الثلثين شغل الثلث العلوي بحجرة دفاعية فوق كل برج مغطاتان بأقبية متقاطعة، ومزودة بمزاغل وفيما بين البرجين كتلة مدخل عبارة عن دخلة عميقة متوجة بعقد نصف دائري ويغلق عليها باب خشبي شبيه بباب النصر، يعلو الباب إيوان مغطى بقبويريط بين حجرتي دفع البرجين يبرز عن مستوى واجهة المدخل محمول على تسعة كوابيل اثنان منها على شكل رأس الكبش.

وربط المعمار بين بابي النصر والفتوح بسور يوصل بينهما بطريقتين: إحداها ظاهرة في أعلى السور على هيئة مشى وجدار ساتر، والأخرى مخفية داخل جوف السور عبارة عن ممر طويل مقبى ذوبمزاغل.

باب زويلة:



يقع في السور الجنوبي ويعرف باسم بوابة المتولي (متولي الحسبة)، وهو مكون من كتلة بنائية ضخمة مكونة من برجين يتوسطهما ممر يؤدي إلى فتحة الباب ومنه إلى رجة مربعة واسعة مغطاة بقبة ضحلة وعلى يسارها دخلة مغطاة بنصف قبة وعلى يمينها دخلة مماثلة تقضي إلى إيوان مقبب ومقعد مدرسة المؤيد شيخ التي بنيت في العصر المملوكي، بني البرجان بشكل مصمت حتى ارتفاع الثلثين ثم حجرتان كانتا مغطيتان بأقبية طولية وأزالهما سنة ٨١٨هـ السلطان المملوكي المؤيد شيخ ليتخذ من البرجين قاعدتان لمئذنتي مدرسته، وبين الحجرتين ممر مغطى بقبوعرضي.

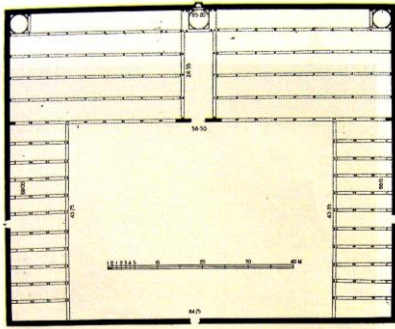
٣- المساجد:

شيد الفاطميون عدداً من المساجد أهمها جامع الأزهر سنة ٣٥٩هـ، جامع الحاكم سنة ٣٨٠هـ، جامع الأقمر سنة ٥١٩هـ، مسجد الصالح طلائع سنة ٥٥٥هـ.

الجامع الأزهر:

يعد أقدم المساجد الفاطمية وأهمها باعتباره ثالث المساجد الجامعة في القاهرة الكبرى ولذلك عرف بجامع القاهرة، وقد بدأ جوهر الصقلي في بناءه سنة ٣٥٩هـ وانتهى من بناءه سنة ٣٦١هـ.

تخطيط الجامع:



عند الإنشاء سنة ٣٥٩هـ كان المسجد مكوناً من مساحة طولها ٨٨م وعرضها ٧٠م بنيت جدرانها بالآجر وأعمدته نقلت من مآثر قديمة، وشغلت جدرانها الشمالية والغربية والشرقية بأبواب محورية، قسم من الداخل إلى صحن أوسط مكشوف مستطيل الشكل محاط بثلاث ظلات من ثلاث جهات فيما يتوسط الجهة الرابعة (الغربية) المدخل الرئيسي للجامع.

قسم مقدم المسجد عند الإنشاء إلى خمسة أساكيب بواسطة خمس بوائك معقودة موازية لجدار القبلة اتسع أسكوب المحراب ٧م وبقية الأساكيب ٤م، يقطع الأساكيب في الوسط أمام المحراب بلاطة وسطى ذات عقود عمودية على جدار القبلة محمولة على أعمدة مزدوجة وسقفها أعلى من باقي أسقف المسجد، وزود أسكوب

المحراب بثلاث قباب: وسطى فوق المحراب والأخريان في طرفي الأسكوب من الجانبين، ويطل المقدم على الصحن ببائكة ذات ثلاثة عشر عقداً مرتكزة على أعمدة رخامية، فيما تتكون الظلتان الجانبيتان من ثلاث بلاطات تسير عقودها بشكل موازي.

ثم توالى التجديدات عليه في العصر الفاطمي ومنها:

- تجديد العزيز بالله فيما بين ٣٦٥-٣٦٨هـ.

- تجديد المئذنة وباب الجامع الخشبي في عهد الحاكم بأمر الله سنة ٤٠٠هـ.

- تجديد المستنصر بالله ٤٢٧-٤٨٧هـ.

- تجديد الزخارف وإضافة محراب خشبي في عهد الأمر بأحكام الله سنة ٥١٩هـ.

- إضافة بائكة تحيط بالصحن في عهد الحافظ لدين الله فتحول المسجد بذلك إلى رباعي التخطيط

حيث شكلت البائكة في الجهة الغربية مؤخر المسجد، كما أضاف قبة على طرف البلاطة الوسطى من المقدم من جهة الصحن فأصب لهذه البطة قبتان: قبة المحراب وقبة البهو.

ولم يبق من الجامع في العصر الفاطمي سوى بعض العناصر ومنها: قبة البهو، عقود البلاطة الوسطى، بعض الزخارف الكتابية حول الشبابيك الجصية، الحراب الأصلي بصدر البلاطة الوسطى.

حيث توالى التجديدات بعد ذلك في العصر الأيوبي والمملوكي والعثماني فزاد اتساعه ووحداته ومنها:

المدرسة الطبرسية سنة ٧٠٩هـ، المدرسة الأقبغوية سنة ٧٤٠هـ، المدرسة الجهرية سنة ٨٤٤هـ، مئذنة قايتباي فوق

الباب الذي شيده فيما بين مدرستي الطبرسية والأقبغوية سنة ٩٠٠هـ، مئذنة الغوري سنة ٩١٥هـ على يمين الداخل

للصحن قرب مئذنة قايتباي، توسيع مقدم الجامع على يد الأمير عبد الرحمن كتحدا سنة ١١٦٧هـ.

٤ - القباب والمشاهد الضريحية:

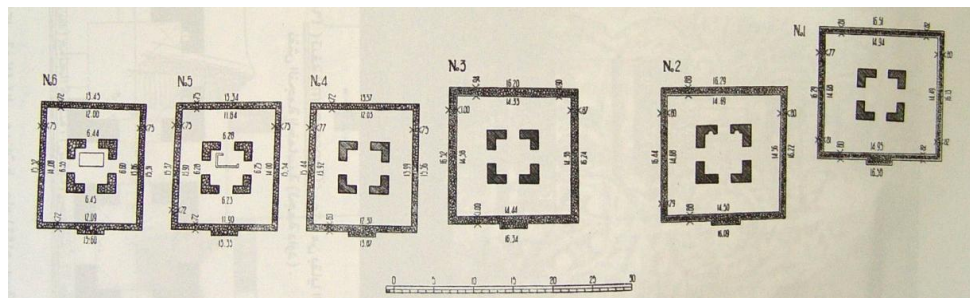
شيدت في العصر الفاطمي عدد من القباب والمشاهد الضريحية ومنها: قباب السبع بنات ٤٠٠هـ، مشهد

الجيوشي ٤٧٨هـ، قبة الشيخ يونس ٤٨٧هـ، قبة إخوة يوسف أوائل ق ٦هـ، مشهد أم كلثوم ٥١٦هـ، قبة السيدة

عاتكة والجعفري ٥٢٤هـ، مشهد السيدة رقية ٥٢٧هـ، قبة الحصواتي منتصف ق ٦هـ، قبة يحيى الشبيه ٥٤٥هـ، قبة

القاسم أبو الطيب منتصف ق ٦هـ، قبة أبو الغضنفر أسد الفائزي ٥٥٢هـ.

قباب السبع بنات:



تقع بعزية خير الله جنوب القسطنطينية في آخر مقبرة القاهرة المعروفة بالقرافة الكبرى، وتتكون من سبع قباب بنيت على

سبعة مقابر من بني المغربي قتلهم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بعد فرار الوزير أبي القاسم الحسين بن علي المغربي إلى مكة، ولم يتبق من هذه القباب السبع سوى أربع وقاعدتين لقبتين آخرين.

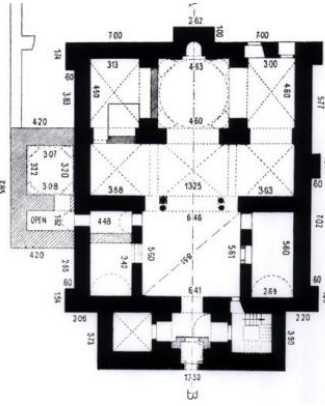
شيدت القباب من الحجر تتكون كل منها من حجرة مربعة فتح بكل ضلع منها فتحة باب متوجة بعقد

مدبب، وعلى جانبي الباب حنية محراب، وغطيت كل منها بقبة محمولة على أربع حنايا ركنية تحمل رقبة القبة المثمنة الشكل والتي كانت تحمل خوذة القبة.

مشهد الجيوشي:

يقع على سفح جبل المقطم من الجهة الجنوبية الشرقية من قلعة صلاح الدين، شيده الوزير الفاطمي بدر

الجمالي سنة ٤٧٨هـ، وقد بنيت جدرانه حتى مستوى السطح بالحجر وسقوفه المقبية والمقبة بالآجر. يتكون من مساحة مستطيلة دعمت أركانه ومنتصف جداره الجنوبي بدعامات مستطيلة تنتهي من أعلى



بجوسق مربع، يتم الوصول إلى داخله عبر باب رئيسي يتوسط الواجهة الشمالية الغربية مكون من فتحة متوجة بعقد مدبب يعلوها لوحة من الرخام نفذ عليها نص تأسيسي بالخط الكوفي مكون من خمسة أسطر تحمل اسم الخليفة المعاصر للبناء المستنصر بالله والأمر بالبناء الوزير وقائد الجيوش بدر الجمالي وتاريخ البناء ٤٧٨هـ، ويعلو المدخل منئذنة مبنية بالآجر تتكون من ثلاثة طوابق مربع أكبر ثم مربع أصغر ثم مثنى ثم قمة المنئذنة مكونة من قبة مدببة.

يؤدي المدخل إلى ممر صغير يفضي إلى دركاة مربعة مغطاة بقبة ضحلة وعلى يمينها سلم صاعد إلى السطح وعلى يسارها حجرة مغطاة بقبومتقاطع وفي أرضيتها صهريج للمياه، وفي صدر الدركة باب يفضي إلى الصحن المكون من مساحة شبه مربعة ٦٥،٥م، وعلى جانبي الصحن قاعتين مستطيلتين مقببتين، وفي الطرف الشمالي الشرقي للصحن باب معقود يؤدي إلى دهليز مقبي يؤدي إلى دهليز آخر متعامد عليه يفضي إلى الضريح الذي كان مغطى بقبة.

مقدم المشهد:

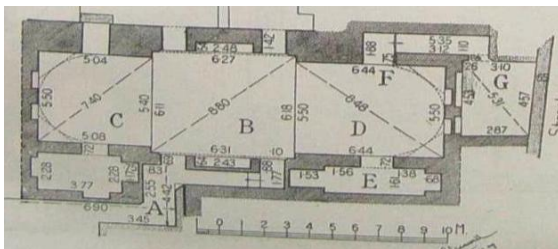
يشغل نصف مساحة المشهد ويطل على الصحن ببائكة ذات ثلاثة عقود مدببة الأوسط منها أكثر ارتفاعاً واتساعاً يرتكز على زوجين من الأعمدة الرخامية ذات قواعد ناقوسية. يتكون المقدم من أسكوبين أوسعها أسكوب المحراب تتقاطع معها ثلاث بلاطات أوسعها البلاطة الوسطى بواسطة ثلاثة عقود موازية وأربعة عقود عمودية، قسمت المقدم إلى ست مساحات مربعة غطيت خمس منها بأقبية متقاطعة فيما غطي المربع السادس - مربع المحراب - بقبة محمولة على ثلاثة عقود، ويتوسط جدار المربع حنية محراب مكون من دخلة عميقة متوجة بعقد مدبب يرتكز على عمودين رخاميين.

٥- العمارة السكنية:

شيدت في العصر الفاطمي كثير من المنازل والقصور وأهمها القصرين الشرقي والغربي، وقاعة الدردير التي تعد الأثر السكني الوحيد الباقي من العصر الفاطمي، وتتميز عمارة المسكن الفاطمي بما يلي:

- تغطية ودمج العناصر الرئيسية: الفناء، والرواق المستعرض، والإيوان، والحجرتين تحت تأثير صغر مساحة الدار، فظهر نتيجة لذلك تخطيط نموذج القاعات المغطاة.
- اتخذ تخطيط العنصر الرئيسي - الصحن - شكل موحد مكون من در قاعة يتعامد عليها إيوانان كبيران مغطيان بأقبية أو أسقف مسطحة بسيطة.
- جعل سقف الدار قاعة مرتفعاً عن بقية أجزاء المسكن وتغطيها بسقف خشبي.

قاعة الدردير:



تقع بجوار ضريح الشيخ الدردير بمنطقة الكحكيين خلف قبة الغوري، وتتسب خطأً للشيخ الدردير، وقد بنيت جدران القاعة بالحجر الجيري فيما بنيت أسقف الإيوانين بالآجر، تتكون القاعة من قاعة وسطى يتم الوصول إليها عبر باب منكسر يقع في الواجهة الغربية، ويتعامد على القاعة إيوانان شمالي وجنوبي:

الوحدة السادسة: العمارة في العصر الأيوبي:

الأيوبيون أوبنوايُوب هي أسرة مسلمة حكمت أجزاء واسعة من المشرق العربي خلال القرنين ٦-٧هـ/١٢-١٣م، وقد تأسست على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي في مصر ثم امتد حكم الدولة الأيوبية إلى الشام والحجاز وشمال العراق وديار بكر بجنوب تركيا، وإلى شرق ووسط وجنوب اليمن.

اعتنى الأيوبيون ببناء المساجد والمدارس، كما اهتموا ببناء القلاع وتحصين المدن بالأسوار والأبراج الدفاعية، بسبب حالة الحرب بينهم وبين الصليبيين، ويمكننا اعتبار فن التحصين في العمارة الأيوبية نهاية مراحل التطور في هذا المجال إذ لم يظهر أي تجديد ملحوظ في العهود اللاحقة، فالمنشآت الأيوبية العسكرية نموذج لأرقى ما وصل إليه هذا الفن على المستوى العالمي، وليس على نطاق الحضارة الإسلامية فقط،

خصائص العمارة الأيوبية:

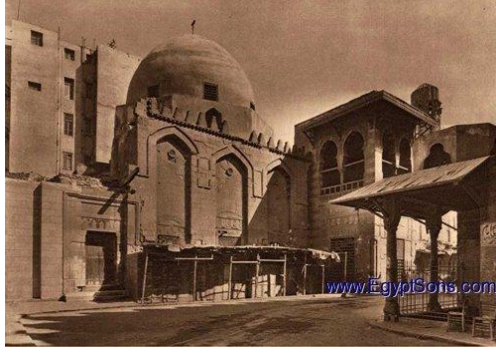
- التكتشف وعدم الإسراف في الزخرفة، بسبب الحرب مع الصليبيين .
- القوة وإتقان التخطيط والبناء، ودقة النسب، مع ضخامة المنشآت بالنسبة للعصور السابقة
- الاعتماد على الحجر المنحوت بأبعاد كبيرة كمادة أساسية في الواجهات والأعمدة وتيجانها، وأحياناً في القباب والأقبية .
- ظهور الأروقة بالإضافة إلى الأواوين في المدارس وخاصة في حلب، وهذا تطور جديد لم يستعمل من قبل.
- اعتماد التسقيف على القباب لدرجة كبيرة، وكانت هذه القباب مدببة في حلب، في حين شاعت القباب المفصصة في دمشق، واستندت بعض القباب إلى رقبتيين، العليا من ١٢ ضلعاً، والسفلى مربعة، واستند البعض الآخر إلى الجدران مباشرة، واعتمد على المقرنصات أو السروال أو المثلث الكردي للانتقال من المضلع أو الدائرة إلى المربع، كما استعمل القبول المهدي في التسقيف وندر استعمال القبول المتقاطع، وخاصة في حلب.
- شاع استعمال القوس المدبب، كما استعمل القوس الثلاثي الفصوص (لغرض تزييني)، والقوس الموتور (قوس عاتق فوق النوافذ) هذا في بلاد الشام، أما في مصر فاستمر استعمال القوس الفاطمي الذي ينتهي بمستقيمين يلتقيان في قمته .
- استعملت التيجان المقرنصة فوق الأعمدة للمرة الأولى في العمارة الأيوبية وخاصة في بلاد الشام.
- استمرت المآذن ذات المقطع المربع في بلاد الشام بينما استمرت المآذن الفاطمية في مصر .
- مداخل الأبنية ضمن إيوانات، تعلوها نصف قبة مقرنصة أو محززة أو ملساء.
- بدء ظهور (بشكل محدود) التناوب بألوان الحجر في أكتاف الأبواب ونجفاتها (الأبيض والأسود)، كما ظهرت بعض المزمرات، خاصة في دمشق بينما لم يظهر هذا في حلب .
- تزيين الواجهات الداخلية والخارجية بأشرطة كتابية بخط الثلث وأحياناً بالكوفي المربع .
- تطور النقوش الخشبية في المنابر وتوابيت الأضرحة، وأحياناً المحاريب (محراب المدرسة الحلوية) .

أولاً - العمارة المدنية في العصر الأيوبي :

١- مدرسة الصالح نجم الدين في القاهرة :

بناها " نجم الدين أيوب بن الكامل" حوالي (عام ٦٤١هـ)، داخل القاهرة الفاطمية، ثم ألحقت بها "شجرة الدر" تربة أنشأتها لزوجها " نجم الدين" بعد وفاته (سنة ١٤٨هـ) .

كانت المدرسة تتألف من جناحين، تهدم أحدهما، يتألف الجناح المتبقي من صحن متناول جنوبيه إيوان فيه محراب، فهو للصلاة كالقبليّة وشماليه إيوان آخر أصغر من الأول، وتتوزع غرف الطلبة في الشرق



والغرب على جانبي الصحن .

للمدرسة مئذنة بنيت فوق المدخل الرئيسي، مشيدة بالآجر ومقطعها مربع في الدور السفلي ومثلث في العلوي، وتنتهي بقبة محززة، يزين المئذنة محاريب مسطحة أقواسها فاطمية . زينت واجهة المدرسة بمحاريب مسطحة وداخلها نوافذ، أقواس المحاريب فاطمية، وتشكلت نجفة باب المدرسة مع القوس العاتق فوقها، من حجارة يتناوب فيها اللونان (الأبيض والأسود)، كما ظهرت المزررات وهذا تأثير سوري

٢- المدرسة العادلية بدمشق :

أنشأها الملك "العادل أبو بكر شقيق صلاح الدين الأيوبي" (سنة ٦١٢ هـ)، وهي اليوم مقر المجمع العلمي العربي، وأكمل بنائها بعد وفاته ابنه " المعظم عيسى" (عام ٦٢٠ هـ).

تتألف المدرسة من صحن تحيط به من الشرق والغرب والشمال،

(٣ إيوانات)، الشمالي أكبرها، سقوف الإيوانات مكونة من أقبية، يقع إيوان القبلة جنوب الصحن، ويتألف من مساحة واحدة بـ (٣ فتحات) سقوفها أقبية متقاطعة، يفتح باب الإيوان على الصحن ، وعلى كل من جانبيه نافذتان، وفوق كل منها نافذة مستطيلة، أقواس النوافذ السفلى مدببة.

٣- مدرسة الفردوس بحلب :

أنشأتها (سنة ٦٣٣ هـ) " ضيفة خاتون" بنت "الملك العادل أبي بكر" وزوجة "الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي".

تتألف من صحن تحيط به (٣ أروقة) في الشرق والغرب والجنوب،

أما في الشمال فيوجد إيوان سقفه مهدي ويفتح على الصحن بقوس مدبب كبير.

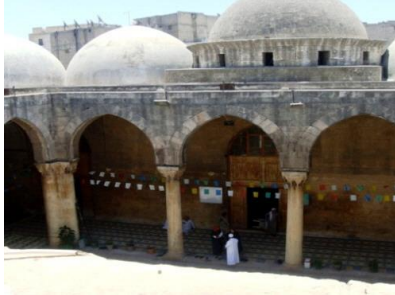
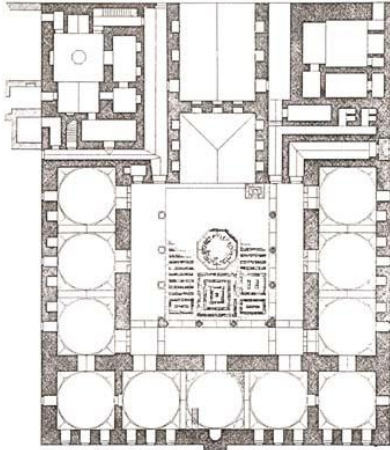
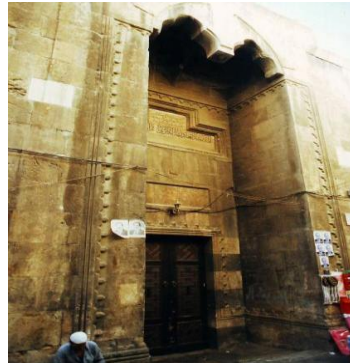
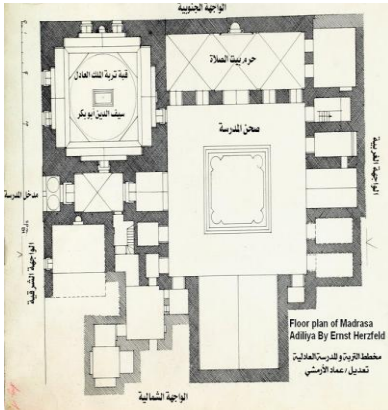
أقواس الأروقة مدببة تستند إلى تيجان مقرنصة، وهوأول ظهور لهذا النوع من التيجان، وتستند التيجان إلى أعمدة حجرية دائرية، سقفت الأروقة (عام ١٩٦٥ م) بالبيتون المسلح .

ثانياً - العمارة العسكرية في العصر الأيوبي:

اهتم الأيوبيون بإقامة المنشآت العسكرية وتحصين المدن بسبب ظروف الحرب مع الصليبيين، ومن هذه المنشآت (قلعة دمشق، وقلعة حلب، وقلعة بصرى الشام).

١- قلعة دمشق:

تحتل الزاوية الشمالية الغربية من دمشق القديمة، على يسار الداخل إلى سوق الحميدية في بابه الغربي .





بناها الملك "العالء أبوبكر محمد بن أيوب"، وقد بدأ العمل بها (عام ٥٩٩هـ) فهدم القلعة التي بناها السلاجقة (عام ٤٦٩هـ)، لتكون القلعة الجديدة أكثر قوة وحصانة، وانتهى الملك العادل من بناء قلعة دمشق (عام ٦١٥هـ)، وقد صارت قلعة دمشق قصراً للأمرء الأيوبيين ثم المماليك.

تتألف القلعة من (١٢ برجاً) بعضها بحالة كاملة، ولها بابان رئيسيان : الباب الأول في الجهة الشرقية جميل ومزين بالمقرنصات، لأنه يفتح على المدينة، والثاني في الجهة الشمالية قريب من نهر بردى .

كانت القلعة محاطة بخندق يملأ بالمياه، ردم في العصر العثماني؛ وكان في داخلها قصور وحمامات

ومساجد

٢ - قلعة حلب :



ترجع أهم الأعمال المعمارية فيها إلى عهد "لظاهر غازي"، ولا سيما مدخلها الذي لا نظير لحصانته في العمارات العسكرية، فبوابته الخارجية تتقدم الجسر المبني على سلسلة كبيرة من القناطر المقامة على خندق مصفح بالحجارة الصقيلة

أما بوابته الداخلية فتتقدم دهليزاً ينكسر محور المرور فيه (٥ مرات)، ويجتاز عدة أبواب حديدية فتحت في برج أيوبي كبير؛ منها: باب الحيات وباب الأسدين، وفي أعلى البرج أقيمت قاعة العرش التي جددت في العصر المملوكي، وقلعة حلب بنيت فوق هضبة مرتفعة .

العمارة الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي:

في أيام السلاطين من بني أيوب دخلت جزيرة الروضة بما حوته في ملك ابن اخ صلاح الدين ثم استأجرها الملك الصالح أيوب لمدة ستين سنة وبني فيها قلعة وكل حراستها إلى المماليك من جنده وأطلق عليها إسم "البحرية".

من مميزات الطراز الأيوبي في العمارة تطور المئذنة التي أخذت شكلاً خاصاً يعرف بـ "المبخرة" وكذا القبة التي تعددت فيها حطات المقرنص وبناء القبو فوق الإيوان بدل القباب، كما ظهر بناء الخوانق لإقامة الصوفية. وكان للسلطان صلاح الدين الأيوبي أكبر الفضل في إنشاء المدارس وإنتشارها في مصر، بهدف القضاء علي المذهب الشيعي وإنعاش مذاهب أهل السنة فبني المدارس لفقهاؤها وكان للمذهبي الشافعي الحظ الأكبر.

قبة ومسجد الإمام الشافعي (٦٠٨ هـ - ١٢١١ م)

يقع هذا الأثر في شارع الإمام الشافعي، كانت هذه المدرسة خاصة بفقهاء أصحاب الشافعي ومعقلاً لنشر هذا المذهب.



وتم تجديد هذا المسجد في عهد الخديوي توفيق علي ما هو عليه الآن، وبقي من عمارة صلاح الدين الأولي لقبر الشافعي تابوت فاخر من الخشب غطاؤه هرمي الشكل عليه نقوش وكتابات بالخط الكوفي.

تعتبر قبة الإمام الشافعي من أجمل القباب في مصر الإسلامية

وتنتهي القاعدة المربعة من الخارج بشرفة بها شرفات مسننة جميلة بأسفلها محاريب ذات عقود مثلثة محلاه بزخارف جصية وفوق هذه القاعدة المربعة توجد قبة خشبية. وبقمة القبة من الخارج يوجد قارب برونزي يعرف بـ "العشاري" كان يوضع فيه الحبوب لأكل الطيور.



قناطر مجرى العيون :

تعد قناطر مجرى العيون في القاهرة منشأة مائية، وكان الهدف منها هوتزويد قلعة صلاح الدين الأيوبي بالماء، وقد شيدت لتتزوّد منها القاهرة بالمياه، ومن هنا تأتي أهميتها. والواقع أن المنشئ الأصلي لقناطر مياه القلعة هو السلطان العادل أبوبكر بن أيوب الذي

تولى الحكم من سنة ٥٩٦هـ/١٢٠٠م إلى سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م. وكانت القناطر حينذاك عبارة عن مجرى ماء فوق السور الشرقي للعاصمة، وكان طرفه الجنوبي يبدأ من ضفة النيل عند الموضع المعروف الآن بدار السلام، ويمتد حتى يتصل بأسوار القلعة. وقد جعل العادل فوق الجدار قناة يرفع الماء إليها بالسواقي من النيل ويسيل فيها حتى يصل إلى القلعة، وكان ذلك عندما استقر رأيه على الإقامة الدائمة في القلعة بدلاً من حصن القاهرة التي اضطر إلى الإقامة فيها كل من سبقه من سلاطين الأيوبيين، ثم جددها السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، حيث عمل لها أربع سواقي على النيل لنقل الماء في مجراه فوق قناطر إلى القلعة، ثم شيد سنة ٧٤١هـ/١٣٤٣م سواقي أخرى عند ساحل النيل، بعدما حفر بئراً ثانية ركب عليها هذه السواقي حتى اتصلت مياهها عبر القناطر المملوكية بالقناطر الأيوبية في بئرين، وبصير ماؤها واحداً يجري إلى القلعة. وظل الحال على ذلك حتى أمر السلطان الغوري سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م بإبطال مجرى المياه القديم، وشرع في بناء مأخذ ذي ست سواقي على النيل عند فم الخليج تسير مياهها في مجراه فوق قناطر لتلتقي مع بقايا قناطر الناصر محمد بالقرب من مشهد السيدة نفيسة، ثم بسور صلاح الدين القديم حتى القلعة. وفي عصر السلطان الغوري ٩٢٠-٩٠٥هـ/١٥١٢-١٥٠١م، امتدت يد التخريب لهذا السور العظيم، ولا سيما عندما اتخذت الحملة الفرنسية على مصر بعض أجزائه للمراقبة، وجعلت فيها فتحات كبيرة لمدافعها، وعملت بعد ذلك على ترميم هذه القناطر وإعادة ترميمها إلى ما كانت عليه، لتظل شاهدة على عظمة العمارة الإسلامية في مصر.

الوحدة السابعة العمارة في العصر المملوكي:

مع انتهاء حكم الأيوبيين تسلق المماليك البحرية على الحكم وكانوا من الأتراك الذين سكنوا قلعة الروضة على النيل، وكانت السلطة في هذا العصر تؤول للأقوى ينتزعها من الآخر إذا حانت الفرصة. وقد انتقلت الخلافة العباسية إلى مصر في عهد السلطان الظاهر بيبرس البندقداري. وكان دور الخليفة العباسي دوراً صورياً دينياً وأدبياً أكثر منه سياسياً. فقد كان مركز مصر العلمي والأدبي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمركز بغداد قبل سقوطها على يد التتار عام (٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م) ثم أخذت القاهرة مكانة بغداد قبل سقوطها. وظهر ذلك فيما أنشئ في العصر المملوكي من مساجد ومدارس للمذاهب الأربعة وما شيد من خوانق وأربطة وزوايا وكتاتيب. وهكذا انتشر العلم في أرجاء البلاد وجنى المماليك الأموال الطائلة بسبب فرضهم الضرائب الباهظة على التجارة الداخلية مما ظهرت آثاره في الإتيان الفني والثراء الزخرف.

إلا أن تركيز العمران ظل في أحيائها القديمة. وقد ازدهرت القاهرة في هذا العصر واتخذت مكانتها كأعظم المراكز التجارية الضخمة بين الشرق والغرب في العالم، وأهم ما يميز المدينة من عمران أنه تناول كافة أجزائها مع التركيز على طول المحور الشمالي الجنوبي من باب الفتوح إلى موقع مدينة القطائع ويطلق عليه قصبة القاهرة.

وتعددت المباني من مساجد ومدارس وخانات ووكالات وحمامات وخوانق وبعض القصور. وتنقسم فترة حكم

الممالك إلى فترة حكم الممالك البحرية والممالك الجراكسة.

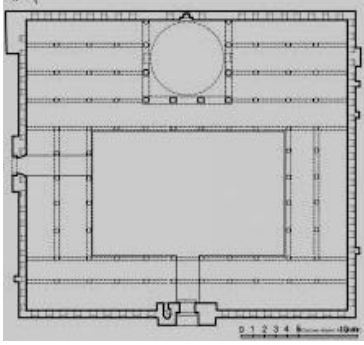
العمارة في العصر المملوكي :

- تميزت العمارة المملوكية عن سابقتها بالعناصر الزخرفية مع محاولة الاستفادة من الفراغ بكل أبعاده نظرًا لكثافة البناء في تلك الحقبة.

- أصبحت العمارة في عهد الممالك أكثر كثافة، وهذا ما دعاهم إلى تقليص المساحة العامة للبناء، إذا استثنينا عمارة بعض الجوامع، مثل تتكز ويلبغا أما معظم المباني المملوكية فأصبحت صغيرة المساحة.

الأسس التصميمية للمباني الدينية في العصر المملوكي:

يعتمد تصميم المسقط الأفق على الاتجاه إلى الداخل، وهناك نمطان سائدان، الأول الصحن بالأروقة. أما الثاني فهو المدرسة ذات الإيوانات يتوسطها صحن.



النمط الأول نجد المسجد فيه عبارة عن صحن أوسط مكشوف تحيط به أربع ظلات، أكبرها ظلة القبلة التي يتوسط صدرها محراب مجوف (جامع الظاهر ببيبرس). وقد ميزت المداخل بخروج كتلتها عن سمت الواجهة، وعلت المئذنة المدخل الرئيسي. أستخدم الحجر الجيري إلى جانب الآجر في الإنشاء، وأستخدم الخشب في الأسقف.

النمط الثاني المدرسة ذات الأربعة إيوانات وقد ظهر هذا المسقط في



مدرسة قلاوون. ومدرسة السلطان حسن استخدمت المداخل التي تقع في قوصرات بارتفاع المبنى يعلوها المقرنصات. ووجد تدرج في الفراغات من الفراغ الخارجي عبر المدخل المنكسر إلى الفراغ الداخلي يؤكد على الاتجاه للداخل.

وفيما يلي أهم الأسس التصميمية التي ميزت المباني الدينية في

هذا العصر:

أولاً: وظيفياً: استمر استخدام المسقط الأفقي المستطيل لبعض المساجد بجانب انتشار استخدام الإيوانات لتلقى علوم المذاهب الدينية الأربعة، بالإضافة إلى توجيه المحاور الأساسية للمسقط ناحية القبلة برغم اختلاف توجيه قطع الأراضي، كما أصبحت فكرة الدخول للمسجد من الحائط الخلفي أساسية في تصميم مداخل المبنى لعدم تخطي رقاب المصلين.

ثانياً: تشكيليًا: ظهر بشكل واضح الاهتمام بتشكيل الواجهات والفراغات الداخلية، كما احتلت المئذنة والقبلة مكان ظاهر في كتلة المبنى وتعددت المآذن المختلفة الارتفاع في بعض الأحيان، كما وضع بعضها فوق المداخل والتي تميزت ببروزها عن سمت الحائط وتغطيتها بالقوصرات بارتفاع المبنى تعلوها المقرنصات. وقد ظهرت فكرة المتتابعات البصرية في المباني في رحلة المصلى ما بين الفراغ الخارجي والداخلي والتي أضافت لفكرة الدخول متعة بصرية حركية ساعدت في تفريغ ذهن المصلى وانعزاله عن البيئة الخارجية.

ثالثاً: إنشائياً: تغطية الأروقة بعقود مرتفعة تحيط بالصحن، بالإضافة إلى استخدام القباب في تغطية المجاز أمام المحراب وتغطية المدافن.

رابعاً: بيئياً: استخدم الصحن المكشوف لإضاءة وتهوية الأروقة المختلفة.

خامساً: اجتماعياً: بالإضافة إلى وظيفة المسجد الأساسية كمكان للعبادة، فقد تأكدت وظيفته كمكان لتلقى علوم

المذاهب الأربعة، كما ظهرت الخوانق والأرطة والزوايا والكتاتيب.

أهم العناصر المعمارية في عمارة المباني الدينية في العصر المملوكي:

١ - الظلات:

أستمر في هذا العصر استخدام ظلات الصلاة الأربعة المحيطة بالصحن كما في مسجد الظاهر ببيرس، كما أستمّر تطور استخدام الإيوانات الأربعة المحيطة بالصحن ويمثل تصميم مسجد ومدرسة السلطان حسن صورة واضحة لهذا النظام حيث انتظمت الإيوانات الأربعة لتدريس المذاهب الفقهية الأربعة وأكبرها إيوان القبلة. وقد أشارت بعض الدراسات إلى أن نظام الإيوانات أدى إلى تقسيم صفوف المصلين الأمر الذي يتنافى مع صلاة الجماعة وعدم تمكين المصلين من رؤية الخطيب - عدا إيوان القبلة - ولكن يجد الإشارة هنا إلى أن تصميم هذا النوع من المساجد كان أساساً يهدف إلى توفير فراغ لتدريس المذاهب الفقهية الأربعة مع إطلال الإيوانات الأربعة على الصحن مما يجعلها فراغاً واحداً، كما أن نظام الإيوانات يوفر المرونة في استخدام الفراغات تبعاً لعدد المصلين حيث يمكن الأعداد الصغيرة من استخدام إيوان واحد وأكثر تبعاً للحاجة أو الاستفادة من الإيوانات الأربعة والصحن المكشوف معاً في حالة تزايد أعداد المصلين. روعي في تصميم الإيوان المقابل لإيوان القبلة أن يكون المدخل يؤدي إلى الصحن أولاً ومنه يتم توزيع الحركة على الإيوانات الأربعة ويحقق هذا التصميم مبدأ عدم تخطي رقاب المصلين والاستفادة القصوى من هذا الإيوان.

٢ - الصحن:

أستخدم الصحن الرئيسي المكشوف كقلب للمبنى تتجمع حوله العناصر المختلفة في كل من نظام المساجد ذات الأروقة أو ذات الإيوانات كما تواجدت أفنية صغيرة التفت حولها عناصر أخرى، حيث تمدّها بالإضاءة والتهوية اللازمة كما في مسجد الظاهر ببيرس ومسجد الناصر محمد.

٣ - المداخل :

في بداية هذا العصر ظهر المدخل البارز بكتلة خارج سمت الواجهة ويؤدي مباشرة إلى الأروقة المحيطة بالصحن المركزي بالإضافة إلى المدخلان الجانبيين، والتزمت هذه المداخل بمحاور الصحن المكشوف. وتواجدت في هذا العصر المداخل المنكسرة، وقد ظهرت أكثر ما ظهرت في مباني المدارس حيث المدخل يؤدي إلى دهليز ثم إلى الصحن الأوسط ثم إلى الإيوانات في متتابعة فراغية توفر للمصلي الفرصة لتهيئة نفسه لدخول بيت الله في هدوء وسكينة، كما يفصل الداخل عن الخارج ويوفر الهدوء إلى أماكن الدراسة والصلاة. وقد تميز مدخل مدرسة وجامع السلطان حسن بأنه بكامل ارتفاع المبنى حيث وضع في قوسرة عميقة وشاهقة الارتفاع تتوجها طاقية ترتكز على عدد من حطات المقرنصات.

٤ - المآذن :

أصبحت المآذن في هذا العصر أكثر رشاقة حيث أصبح الجزء السفلي المربع المسقط قليل الارتفاع وتطور الانتقال من الجسم المربع السفلي إلى جسم المثمن العلوي. وشكلت المآذن مع القباب تكوينات متوازية لكنتل المبنى المختلفة.

٥ - المنبر :

أستمّر استخدام المنابر الخشبية العالية على يمين المحراب.

الأسس التصميمية للمباني السكنية في العصر المملوكي:

روعت القيم الإسلامية في المسقط وذلك بتوفير الخصوصية اللازمة للسكن بالانفتاح على الداخل حول الصحن. وأستخدم المدخل المنكسر الذي عولج مثل معالجة المساجد والمدافن وتم تأكيده بوضعه في قوسرة عالية توجت بالمقرنصات، واحتوى الطابق الأرضي عادة على المدخل المنكسر، وروعي في التصميم الفصل

بين النساء والرجال وتوجيه القاعات للاستفادة من هواء الصيف.

استخدمت الأحجار الجيرية في الطابق الأرضي والواجهات الخارجية، وفي قبوات الدور الأرضي، بينما استخدم الآجر في الأدوار العليا، وأستخدم الخشب في الأسقف وفي المشربيات وكسيت جدران وأرضيات القاعات بالرخام. والمواد المستخدمة كلها مواد طبيعية من البيئة تساعد على العزل الحراري وتوفير مناخ داخلي ملطف. وجعلت الفتحات المطلة على الخارج في أضيق الحدود تأكيداً على الخصوصية ومراعاة حقوق الجار. ومن أمثلة العمارة السكنية لذلك العصر: قاعة محب الدين.

الوحدة الثامنة: العمارة في العصر العثماني:

العثمانيون هم تلك القبائل التي اعتنقت الإسلام منذ أوائل القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، والتي هاجرت من موطنها الأصلي وهو أواسط آسيا هرباً من هجمات المغول، واستقرت في بادئ الأمر في أراضي الدولة العباسية حتى مجيء السلاجقة الذين حكموا بغداد منذ عام ٤٤٧هـ حتى سقوط بغداد في يد المغول عام ٦٥٦هـ. وقد استطاع العثمانيون القضاء على سلاجقة الروم في آسيا الصغرى وإسقاط عاصمتهم بيزنطة عام ١٣٠٨م، وبذلك بدأ استقلالهم وتكوين دولتهم بعد أن فتحوا مدينة "بروسة"، ثم القسطنطينية التي جعلوها عاصمة لدولتهم.



وقد بدأت الدولة العثمانية مرحلة البناء في القرن الرابع عشر الميلادي والتوسع في أوروبا من عهد السلطان عثمان إلى عهد السلطان سليم الأول في أوائل القرن السادس عشر، ثم تلا ذلك مرحلة التوسع في الشرق العربي، كما امتد نفوذها في الدول العربية وشمال أفريقيا.

طراز العمارة العثمانية:

كان للدين الإسلامي والحضارة الإسلامية بالإضافة إلى البيئة الجغرافية أثرها الواضح على العمارات العثمانية وطرزها المختلفة خاصة الدينية منها:

نظام الإيوانات: كانت العمارات الدينية الأولى استمراراً للعمارة السلجوقية في بغداد وسوريا، والتي تميزت بأسلوبها المعماري المعروف بطراز المدارس نسبة إلى الوظيفة الأساسية التي كان يقوم بها المسجد إلى جانب وظيفة الصلاة؛ حيث أخذ نظام الأروقة التي تحيط بالصحن يخفي ويحل محله نظام الإيوانات التي تحيط بالصحن سواء من جهاته الأربع أو من جهتين أو من جهة واحدة، وذلك تبعاً لعدد المذاهب السنية أو العلوم التي كانت تدرس بمدرسة الجامع.

تغطية الصحن: انتشر نظام المدارس السلجوقية عند سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، إلا أن البيئة الجغرافية ذات الأقطار الغزيرة والبرودة القارسة حتمت عليهم وعلى العثمانيين من بعدهم إحداث بعض التغيرات التي تتناسب والبيئة الجغرافية؛ فحولوا الصحن المكشوف إلى صحن مغطى.

تغطية الإيوانات بقباب: كانت الإيوانات في الأصل مستطيلة الشكل مغطاة بأقنية أو أسقف مسطحة، ولكن العثمانيون جعلوا الإيوانات ذات مساحات مربعة وغطوها بقباب، ولذلك أصبحت المساجد عبارة عن مساحة مربعة مغطاة بقبة كبيرة، وفي أركان المربع قطاعات من قباب صغيرة. وقد عرف هذا الطراز باسم طراز "بروسة"، وهو أول طراز معماري قديم للمساجد العثمانية، وأشهر مثل له جامع "علاء الدين بك" بمدينة بروسة.

المدرسة ذات الإيوانات والسقيفة: من الأساليب المعمارية القديمة أيضًا أسلوب المدرسة السلجوقية المكون من صحن به ثلاثة إيوانات، أما الضلع الرابع فتشغله سقيفة، ويغطي الصحن والإيوانات قباب مرتفعة، أما السقيفة فتغطيها قباب ضحلة، ومثل هذا الطراز "جامع أورهابك" في بروسة.

تطور العمارة العثمانية

بعد طراز بروسة وطراز المدارس السلجوقية اللذين يعدان من أقدم الطرز الدينية المعمارية في الدولة العثمانية ظهر طراز جديد استخدمه العثمانيون في بناء الجوامع والمساجد الإسلامية في مدينة إسطنبول والأناضول، والمتمثل في العودة إلى بناء المساجد حسب الطراز القديم لبناء المساجد الإسلامية والمتمثل بالظلات والصحن والمكشوف، ولكنهم حوروا التخطيط الإسلامي للمسجد قليلاً فجعلوه - بدل الصحن والظلات الأربع - مكوناً من مصلى مغطى بقبة كبيرة وصحن (الحرم) مكشوف محاط بأربعة أروقة مغطاة بقباب صغيرة، وتتوسط الصحن نافورة كبيرة للوضوء.

مميزات العمارة العثمانية:

أهم ما يميز العمارة العثمانية هو أسلوب التغطيات، فاستخدمت القباب المركزية وحولها أنصاف قباب وأقباب صغيرة، كما تميزت بتقسيم المسجد إلى قسمين: قسم مغطى جميعه بالقباب، والآخر حرم المسجد والمكون من صحن به نافورة رخامية تحيط به أروقة، بالإضافة إلى المآذن العثمانية الشهيرة، وتنتهي بشكل مخروطي وهو طراز عثماني لم يوجد في أي عصر قبل العصر العثماني.

الطرز العثمانية في البلاد العربية

الحقيقة أن الدول العربية قد احتفظت بطراز عمارتها المحلية خلال العصر العثماني، وهذا يرجع إلى عدة عوامل، وهي: أن فلسفة الحكم العثماني كانت ترمي بقاء الأوضاع على ما هي عليه في الولايات الخاضعة لها، أي أنهم لم يفرضوا ذوقاً أو طرازاً معمارياً خاصاً بهم.

كما أن طبيعة طرز العمارة العربية في كل من مصر والشام وبلاد المغرب، ارتبطت في نشأتها بعوامل البيئة المحلية، فضلاً عن تطورها خلال العصرين الفاطمي والمملوكي في مصر والشام وخلال العصر الأندلسي في تونس والجزائر والمغرب؛ مما أكسبها شخصيتها وطابعها المميز؛ ولذلك كان من الصعب على الطراز العثماني الوافد أن يتغلب ويتفوق على هذه الطرز المحلية، لا سيما وأن طبيعة الطراز العثماني لا تتناسب مع البيئات العربية.

ومع هذا فقد ظهرت بعض هذه الطرز في الولايات الخاضعة للحكم العثماني، وكأنها نسخة مطابقة تماماً لمساجد السلاطين العثمانية في القسطنطينية؛ فهذا جامع "السلطان أحمد" في إسطنبول وشبيهه جامع "محمد علي" بالقاهرة، واللذان قد بناهما المهندس العثماني الشهير "سنان" الذي يعد من أعظم مهندسي الدولة العثمانية.



وعلى ذلك نستطيع القول: إن طرز العمارة في الولايات العثمانية مصر والشام وبلاد المغرب واليمن تميزت بطرازين معماريين أولهما الطراز المحلي الموروث وكان أوسع انتشاراً، والطراز الثاني وهو الطراز العثماني الذي اقتصر انتشاره على العواصم العربية مثل القاهرة ودمشق ومكة وتونس وبرقة. ففي القاهرة يطالعنا جلياً جامع "محمد علي" بالقلعة بمآذنه الرشيفة وقبابه الذي شُيّد عام ١٢٦٥هـ، وهناك جامع "الملكة صفية" ١٠١٩هـ، وجامع "محمد أبوالذهب" الذي بُني عام ١١٨٨هـ.

وفي تونس نجد جامع "سيدي محرز" الذي شيده "الباي محمد المرادي" بين عامي ١٦٩٢م-١٦٩٩م،



وهو المثل الوحيد الذي يتبع طراز الجوامع العثمانية ذات القبة المركزية، كما يوجد بلبيبا وبالتحديد في منطقة المرج "برقة" ثلاثة مساجد هي "الشيخ حمد الشيتوي" و"جامع المدينة" و"جامع الزاوية"، وفي اليمن نجد مدرسة البكيرية في صنعاء ذات طراز عثماني ماعدا مئذنتها فهي ذات طراز صنعاني.

العمارة الخيرية:

طور العثمانيون ما يسمى بالعمارة الخيرية وهي الأسبلة والتكايا.

عمارة التكايا:

هي منشأة حلت محل الخانقاوات والتي أنشئت لتكون مكاناً لسكنى الصوفية المنقطعين للعبادة، كما أعدت أيضاً لسكنى تتأهله السلطان أي الكسالى من العثمانيين الذين يفيدون على الولايات العثمانية مصر وغيرها، ويقوم ملتزم الولايات بإيوائهم في تلك التكايا، وهي عبارة عن فناء متسع مكشوف تحيط به عدد من الخلوي (الحجرات) في طابقين. ومن أشهر هذه التكايا في القاهرة التكية السليمانية، وتكية السلطان محمود.

عمارة الأسبلة:

أنشئت لسقي المارة فعمارتها العثمانية، واتخذت أشكالاً متعددة، فمنها ما هو قائم بذاته أو ألحق بمنشأة. وكانت تغطي الأسبلة العثمانية بقبة أو كتاب، وتميزت بزخارفها من مقرنصات وتضليعات، وهي مبان رشيقة أخذت الشكل الدائري أو المحدث. أو السبيل ذو الواجهات المقعرة ونماذجها في القاهرة "سبيل محمد علي" بالناحسين، و"عبد الرحمن كتحدا" بالجمالية، و"سبيل الوالدة باشا" بشارع الجمهورية.